تاريخ الاسلام للـــذهبي

« نقد وتقويم للقسم الاول من المجلد الاول الذي أصدره مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية باسم « التاريخ الكبير »

الدكتور
بشار عواد معروف
الاستاذ المساعد بقسم التاريخ
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المقـــدمة :

اصدر مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية (جمهورية مصر العربيـــة) ســـنة ١٩٧٥ القســـم الاول من الجـــزء الاول من هـــذا الكتاب وهـو يحمـــل عنـــوان « التاريخ الكبير او تاريخ الاســـلام وطبقـــات المشاهـير والأعـلام » وكتـب على الغلاف انه من (تحقيق) الدكتور محمد عبدالهادي شعيرة • ويقع هذا المجلد في (٣١٩) صفحة من ضمنها مقدمة عن المؤلف الذهبي وكتبه والمخطوطات الخاصة بهذا الكتاب استغرقت (٦١) صفحة منه •

ويعد « تاريخ الاسلام » لشمس الدين الذهبي المتوفى سنة٧٤٨هـ من اضخم مؤلفات الذهبي الكثيرة واوسع التواريخ العامة حتى عصره، تناول فيه تاريخ الاسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة ٧٠٠هـ فحصر مادة ضخمة في نطاقه الزماني الممتد عبر سبعة قرون كاملة ، وفي نطاقـه المكاني الشامل جميع الرقعة الواسعة التي امتد اليها الاسلام من الاندلس غربا الى أقصى المشرق • وقد شمل الحوادث الرئيسة التي مرت بهـا الجماعة الاسلامية منذ هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وســـلم

وتعاقب الاحداث والدول في شتى انحاء العالم الاسلامي حتى نهاية القرن السابع الهجري • كما تضمن تراجم المشهورين في كل ناحية من نواحي الحياة ولم يقتصر على فئة معينة منهم ، وفي هذا المجال ، اعني التراجم ، تظهر عظمة كتاب الذهبي في العدد العديد والشمول الفريد الذي اقدره بأربعين الف ترجمة ، وهو مما لا نجده في كتاب آخر من بابته ممن سبقه او جاء بعده •

وتضمن كتاب « تاريخ الاسلام » مادة واسعة في التاريخ السياسي والاداري انتقاها من موارد كثيرة ضاع العديد منها • وقدم معلومات اقتصادية جيدة حيث عني بذكر الأحوال الاقتصادية للدولة الاسلامية عموما والتطورات التي طرأت عليها • أما من الناحية الاجتماعية فقد أبان لنا هذا الكتاب حينما صرف جل عنايته للتراجم اتجاه المؤرخين في تخليد المبرزين في المجتمع وصور جانبا من القاعدة الاجتماعية لفئة العلماء ، وظهر في هذا الكتاب عدم وجود المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية وقلة تأثيرها في تقدير الناس ، وان المجتمع الاسلامي لم يعرف في هذا المجال في الاقل أى نوع من النظم الطبقية ، وأزاح الفكرة القائلة : ان التاريخ الاسلامي تاريخ حكام لم يعن بتاريخ الامة ، فان عناية المسلمين ، ومنهم الذهبي بتاريخ « التراجم » وتدوينهم سير الناس ممن اشتهروا بسياسة ، او علم ، او أدب ، او فن ، او عقيدة وما الى ذلك من غير نظر الى مركز اقتصادي او اجتماعي ، يؤكد من غير شك ان موازينهم كانت على غاية من الرقي الانساني ، وقد جربنا الذهبي وهو يترجم محدثا فقيرا ويترك غنيا ، ويطيل في ترجمة عبد ويقصر في ترجمة سيد كبير ، ويثني على شخص من عامة الناس ويذم آخر من علية القوم ، في

الوقت الذي اقتصرت فيه النواحي العلمية ومحتويات كتب التراجم عند كثير من الامم في هذه الا عصر على فئات معينة من الناس كما كان في أوربا العصور الوسطى .

وقد وضع الذهبي كتابه في واحد وعشرين مجلدا ضخما تكون قرابة السبعين مجلدا في الطباعة الحديثة المحققة . وقام السيد حسام الدين القدسي نزيل القاهرة بنشر ستة اجزاء صغيرة من غير تحقيق ابتداء من سنة ١٣٦٧هـ تناولت الفترة الواقعةبين ١١ــ١٦٠هـ ولم يعرف آنذاك أن هناك مجلدا ضخما احتوى على « المغازى » وهي الفترة الواقعة بين ١ــ١١هـ بحيث انه اورد الترجمة النبوية بعد مقدمة الكتاب مباشرة ، فأساء الى الكتاب اساءة بالغة انتقلت الى الباحثين والدارسين والمعنيين بالتدوين التاريخي بحيث ظنوا غلطا ، ان هذا هو نطاق الكتاب، فضلا عن انه توقف عن نشر الكتاب ، ثم بدأ بأعادة نشر ما طبعه فأصدر جزءا خاصا بالترجمة النبوية .

وكان مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية قد اعلن عن عزمه على نشر الكتاب ، وأخرج لنا بعد سنوات طويلة من هذا الاعلان قسما من « المغازى » تناولت ست سنوات فقط من هذا التاريخ الواسع العظيم، وهي الفترة الممتدة بين ١ ــ ٦هـ .

وكنا نأمل من دار الكتب المصرية التي عودتنا على اخراج نفائس الكتب واماتها محققة تحقيقا علميا رصينا ومخدومة خدمة ممتازة ، انها ستخرج هذا الكتاب على ذاك النمط العلمي الرصين والتحقيق العلمي الجليل ، ولكننا من أسف ، وجدنا أمرا عجيبا حينما اطلعنا على هذا

المجلد المنشور المليء بالأخطاء التاريخية والمنهجية والتحقيقية التي لا يقع فيها المبتدؤن ، ناهيك عن أستاذ فاضل يحمل رتبة الدكتوراه بحيث أجد نفسي غير مبالغ اذا قلت : ان هذا الكتاب يمثل أردأ ما اخرجته هذه الدار الجليلة العتيدة ، وسوف تكشف ملاحظاتنا على الكتاب مدى الاساءة الفادحة التي أسيء بها اليه .

وقد رتبت دراستي النقدية هذه على بابين رئيسين : تناول الأول منهما المقدمة وتقويمها، وتناول الثاني تصحيح النص واكماله ، ورأيت أن أقسم الباب الأول الى ثلاثة فصول استنادا الى الوحدات الموضوعية التي تناولها المحقق في مقدمته ، فخصصت الفصل الاول لملاحظاتي على ما كتبه المحقق عن أسرة الذهبي ومنهجه وجعلت الفصل الثاني لملاحظاتي واستدراكاتي على الحقق حينما تناول مؤلفات الذهبي : المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ، أما الفصل الثالث فقد أوردت فيه ملاحظاتي على مخطوطات تاريخ الاسلام وتقسيم الكتاب وتناولت في أوله العنوان الذي وضعه المحقق ، والعنوان الصحيح الذي كان يجب ان يحمله الكتاب ، وجعلت الباب الثاني من فصلين : الاول للملاحظات التي تصحح النص وتبين الأوهام الواقعة فيه أما الفصل الثاني فكان مخصصا للنصوص الطويلة التي تكمل النص ، فقد تبين لي بعد مقارنة الكتاب بنسختي المصورة عن مكتبة الامير عبد الرحمن آل سعود الخاصة بالرياض سقوط صفحات كثيرة لم يستطيع المحقق يكملها او يجدها في مكان آخر بسبب اعتماده نسخة واحدة فقط بالرغم من دعاواه العريضة بمراجعة نسخ اخرى تبين انه لم يرها او يطلع عليها وعليه فقد رأيت من أهم الواجب علي ان أقوم باكمال هذا

النقص الذي شوّه الكتاب تشويها كبيرا •

وارجو أن يتنبه القارىء الفاضل الى ان هذه الملاحظات لم تتضمن ما كان يجب ان تكون عليه المقدمة والموضوعات التي تناولتها ، والاصول التي كان على المحقق ان يراعيها في تحقيق النصوص ، فأن ذلك لم يكن من وكدى ، ولو كان ذلك كذلك لطال الحساب وعسر وتضخم المقال كثيرا لاسيما وأنني كنت قد اصدرت دراسة موسعة عن « الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام » سنة ١٩٧٥ وطبعت في القاهرة سنة ١٩٧٦ •

وقد اجتهدت ان تكون ملاحظاتي دقيقة وقصيرة شرط ان تكون مستوعبة مقنعة بالرغم مما في هذه الطريقة من الجفاف الذي قد يمله القارىء غير المتخصص ، ولكنني افترضت ان يكون قراء هذه الكتب ، ومنها تاريخ الاسلام للذهبي ، ممن قد حصلوا على طرف صالح من المعرفة بالدراسات التاريخية عموما والتاريخ الاسلامي خصوصا لاسيما وان هذا القسم من الكتاب يتناول « مغازى » رسول الله صلى عليه وسلم التي تحتل اهتماما خاصا عند العرب عموما والمسلمين خصوصا • وتمشيا مع هذه الطريقة في الاختصار فقد ارتأيت ان لا أفصل في اسماء المؤلفين وكتبهم في هوامش الكتاب الا عند الضرورة القصوى ، واقتصرف على ذكر ما اشتهر به المؤلف من اسم او نسبة او لقب او كنية وما اليها ثم اكتفيت بالحاق مختصر اسم كتابه وتركت تفاصيل كل ذلك الى جريدة المصادر والمراجع التي ذيلت بها هذا البحث •

وآمل ان مثل هذه الدراسة سوف توضح للعاملين في احياء التراث العربي والدراسات التاريخية ان العمل في مثل هذا المجال يجب ان

يكون متقنا يبذل فيه جهد كاف يوازي أهمية التراث نفسه في حياتنا المعاصرة ومستقبل أمتنا الفكرى • كما أرجو ان تنبه هذه الملاحظات القائمين على مركز تحقيق التراث بالقاهرة الى ضرورة اعادة النظـر في المنشورات التي على هذا النمط من الضعف والركاكة حفظا لسـمعتها ورحمة بالدراسات التاريخية ونواميسها •

الباب الاول

نقد المقدمة وتقويمها

الفصل الاول

الذهبي : أسرته ومنهجه

تناول المحقق في هذا القسم من المقدمة شيئا يسيرا جدا عن حياة الذهبي واسرته ومنهجه ، ووقع في هذا الشيء القليل اليسير الذي كتبه في جملة من الأخطاء التاريخية التي تدل على عدم المراجعة والتدقيق وفهم النصوص فمن ذلك :

١ ــ قوله في ص٧ عند الكلام على نسبته بالدمشقي : « وينسب ايضا الى حلب فيقال الحلبي لأنه درس في حلب حيث كان يستقر فرع من الاسرة ، وينسب الى مصر فيقال له المصري .. الخ » .

وهذا من استنتاجات الدكتور المحقق الغريبة حينما نسب الذهبي الى حلب لأنه سافر اليها ، ونسبه الى مصر لانه سافر اليها !! علما ان الذهبي لم ينسب نفسه هذه النسبة ولا ذكرها أى من الذين ترجموا له .

وعلى تقدير الدكتور المحقق فأننا يجب ان ننسب كل واحد من الاف المحدثين الرحالين في طلب العلم الى عشرات المدن والبلدان لأنهم سافروا اليها !

٢ ــ ثم استنتج الدكتور المحقق أمرا لا يقل غرابة عن استنتاجه السابق حينما ذكر ان فرعا من اسرة الذهبي كان يستقر في حلب، ورحت اقرأ مقدمته لعلي اقف على سند لهذا الاستنتاج العجيب فوجدته يستنتج استنتاجا لايقل غرابة عن الاول حينما يقول : « وكان داخلا في

ولاء الملك الظاهر غازي بن يوسف ، ومن هذا الفرع (يعني فرع حلب المزعوم) كان عم الذهبي احمد بن عبدالله بن قايماز الحلبي الظاهري، وكان هذا العم سمياً لوالد الذهبي ، ومن الممكن ان يحمل اخوان اسما واحدا رسميا • وبفضل هذا العم القريب تهيأ للذهبي ان يدرس في حلب على نحو ما ورد فعلا في تذكرة الحفاظ ٤ص ١٤٧٩ ، قال الذهبي : « ونزلت عليه (أي على العم احمد بن عبدالله بن قايماز الحلبي الظاهري)[١] بزاويته بالمقص[٢] واكثرت عنه وانتفعت بأجزائه ، احسن الله اليه » ويستطرد المحقق الفاضل ببحثه العجيب هذا فيقول : ويؤيد ذلك ايضا تعريفه لابن الظاهري بقوله : « شيخنا • وهذا الوضع هو الذي يفسر اقامة صلاة الغائب عليه بحلب ان الفرع الحلبي من الاسرة كان ذا منزلة مرموقة في المدينة »[٣] •

ومن يقرأ هذا القول قد يظن ان المحقق لابد ان يكون مستندا في أقواله على أساس تاريخي ، ولكنه ، من أسف ، ليس فيه عبارة واحدة صحيحة ، وجميع كلامه محض افتراء على التاريخ لا وجود له في أى مصدر من مصادره • والظاهر ان المحقق ظن أبا العباس احمد بن عبدالله الظاهري عما حقيقيا للذهبي فزعم كل هذه المزاعم بحيث جعل فرعا لاسرة الذهبي في حلب ، وجعل الذهبي مولى للملك الظاهر •• الخ • واستند في كل ذلك على ترجمة ابن الظاهرى الواردة في « تذكرة الحفاظ » مع انه ليس فيها ما يشير الى مزاعمه العجيبة الغريبة ، واليك ترجمة الرجل في « تذكرة الحفاظ » ، قال الذهبي : « شيخنا الامام المحدث الحافظ الزاهد مفيد الجماعة جمال الدين ابو العباس احمد بن محمد بن عبداله بن قيماز الحلبي مولى الملك الظاهر غازي بن يوسف

مولده في شوال سنة ست وعشرين وست مئة بحلب . سمع من .. وخلق كثير بحلب ودمشق والحرمين ومصر وماردين وحران والاسكندرية وحمص وجمع اربعي البلدان وكتب شيئا كثيرا وخرج لجماعة كثيرة .. سمع اولاده منه واصحابه .. نزلت عليه بزاويته بالمقس واكثرت عنه وانتفعت بأجزائه احسن الله اليه . سمع منه الحافظ علم الدين أزيد من مئتي جزء وأخذ عنه المزى والحلبي واليعمري والرحالون توفي في السادس والعشرين من ربيع الاول من ربيع الاول سنة ست وتسعين وست مئة ، وكان قد جاءته ضربة سيف على عنقه في كائنة حلب ووقع بين القتلى ثم سلم فكان في عنقه ميلة منها رحمه الله تعالى »[٤] .

وقد ترجم الذهبي لابن الظاهرى في معجم شيوخه الكبير ، فقال : « احمد بن محمد بن عبدالله الحافظ القدوة جمال الدين ابو العباس الحلبي الظاهري ، شيخنا رحمه الله ، مولده في شوال سنة ست وعشرين وست مئة . واشتغل وقرأ بالسبع على ابي عبدالله الفاسي وسمع من ابن اللتي والاربلي والموفق يعيش وابن رواحة واكثر عنه وعن ابن خليل ، وبدمشق من كريمة والضياء ، وبمصر من الساوي وابن الحمزى .. وشيوخه أزيد من سبع مئة شيخ وكان تام الشكل منور الشيبة مقصودا بالزيارة والتبرك محبا الى الناس كيس الجملة . ودعته في ذى القعدة سنة خمس وتسعين ، فقال لي : قل للجماعة يجعلوني في حل فما كان بقي يحيى مني شيء ، فمات في ربيع الاول سنة ست وله سبعون سنة . أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ بمصر وأحمد بن عبدالرحمن الحسيني بدمشق : قالا : ..[٥]

وقال الذهبي في وفيات سنة ٦٩٦هـ من كتابه «تاريخ الاسلام»

بعد ان ترجم له ترجمة رائقة ومدحه مدحا عظيما : « توفي ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من ربيع الاول بزاويته الجمالية التي بالمقس . وبه افتتحت السماع في الديار المصرية وبه اختتمت وعنده نزلت وعلى اجزائه انكلت . وقد سمع منه علم الدين اكثر من مئتي جزء[٦] . كما ترجم له محمد بن ابراهيم الجزري المتوفى سنة ٧٣٩هـ في كتابه : حوادث الزمان وأنبائه الاكابر والاعيان من ابنائه[٧] وذكر مثل هذا الذي ذكره الذهبي .

ومن كل هذه النصوص يتضح ما يأتي :

أ ـ ان ابن الظاهرى ولد بحلب ، ولكنه استوطن الديار المصرية وظل فيها الى حين وفاته . وكان يسكن بالزاوية المعروفة به . وهي الزاوية الجمالية بالمقس . وقال ياقوت في « المقس » من كتابه معجم البلدان : « وهو بين يدي القاهرة على النيل ، وكان قبل الاسلام يسمى أم دنين وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط[٨] . فكيف يقال بعد هذا انه توفي بدمشق ؟!

ب ـ ان الذهبي قرأ على ابن الظاهري ونزل عنده بمصر وليس بحلب وقد أشار الى ذلك في ترجمته له في تاريخ الاسلام بقوله : « وبه افتتحت السماع في الديار المصرية » كما مر بنا قبل قليل . وكان الذهبي قد وصل مصر في رجب من سنة ٦٩٥هـ وبقي فيها الى ذي القعدة من السنة .

ج ـ لم يمكث الذهبي في البلاد المصرية اكثر من أربعة أشهر في هذه الرحلة وكانت رحلته هذه هي الاولى والاخيرة الى هذه البلاد .

وكان والده يمنعه من السفر خوفا عليه ، ولكنه سمح له بهذه الرحلة شرط أن لاتطول اكثر من أربعة اشهر ، قال في ترجمة المكين الاسمر المقرىء الاسكندراني المتوفى سنة٦٩٢هـ : «ولما مات شيخنا الفاضلي قبل اكمالي القراءات بفيت أتلهف، فذكر لي هذا الشيخ انه باق بالاسكندرية، وانه أعلى رواية من الفاضلي ، فازددت تلهفا وتحسرا على لقيه ولم يكن الوالد يمكنني من السفر »[٦] . وقال في ترجمة الامام شرف الدين أبي الحسين يحيى بن احمد بن عبدالعزيز الجذامي الاسكندراني من كتابه معرفة القراء : « وكنت قد وعدت أبي وحلفت له اني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر ، فخفت أعقه »[١٠] وكان يرافقه في رحلته من القاهرة الى الاسكندرية شيخه ابن الظاهري ورفاقه ابن : تيمية والبرزالى وابن سيد الناس اليعمري[١١] . فكيف يصح بعد كل ذلك ان يقال أنه يعرف بالمصري لانه سافر الى مصر ، أمن أجل هذه الشهور الاربعة فقط ؟ !

د ـ لم ترد أية اشارة الى وجود صلة قربي بين الرجلين ، والا كان الذهبي أشار اليها وهو المولع بذكر أقربائه حتى البعيدين منهم ، فقد ذكر عمته ست الاهل بنت عثمان الحاجة أم محمد المتوفاة سنة ٧٢٩هـ[١٢] ، وذكر خاله علي بن سنجر بن عبدالله الموصلي ثم الدمشقي، فقال : « الحاج المبارك ابو اسماعيل خالي . مولده .. »[١٣] وذكر زوج خالته فاطمة ، أحمد بن عبدالغني بن عبدالكافي الانصاري الذهبي المعروف بابن الحرستاني[١٤] اضافة الى ذكره لجد أبيه قايماز[١٥] ، وجده عثمان[١٦] ، ووالده احمد[١٧] ، وابن عم والده علي بن فارس النجار[١٨] . فكيف يغفل عن ذكر عمه ؟ !

هـ ــ أما ولاؤه فلم يكن للملك الظاهر ولا أشار أحد الى ذلك من بعيد أو قريب • وانما كان ولاؤه لقبيلة تميم العربية ، فقد وجدت بخطه على طرة المجلد التاسع عشر من تاريخ الاسلام التي بخطه[١٩] : « تأليف محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز مولى بني تميم » •

ز ــ لم يكن ابن الظاهري يتفق مع والد الذهبي في الاسم فهو : « احمد بن محمد بن عبدالله بن قايماز » ووالد الذهبي هو : « احمد ابن عثمان بن قايماز » فلا أدري كيف يكون سميا له في غير الاسم الاول ، فوالد ابن الظاهري هو « محمد » بينما والد الذهبي «أحمد» وجد الاول « عبدالله » بينما جد الثاني « عثمان » فمن أين جاءت صلة انقربى هذه وكيف صار أخا له ؟ !

٣ ــ وقال المحقق الفاضل في ص ٨ : « وللأسرة كذلك فرع آخر : هو فرع ميافارقين • وهو على الارجح الفرع الذي تمسك بالاقامة في المهجر الاكبر للتركمان » •

وهذا قول لاقيمة له ، وخال من الصحة أيضا ، لأننا لا نعرف اطلاقا أي فرد من عائلة الذهبي أقام في ميافارقين في الوقت الذي كانت عائلته قد اتخذت دمشق مقرالها ، فكيف يقال بعد ذلك « تمسك بالاقامة » ومن هذا الذي تمسك ، وهل نعرف حتى « غير متمسك » حتى نعرف واحدا من المتمسكين ؟ •

والظاهر ان عائلة الذهبي كانت في أول أمرها عائلة مغمورة ، ويبدو أن جد الذهبي « عثمان » هو الذي قدم دمشق ، وكان أميا لم يكن له حظ من علم وكل الذي استطاع الذهبي أن يقوله عنه انه كان « حسن اليقين بالله »[٢٠] ، وكان نجارا بسيطا توفى سنة ٦٨٣هـ • أما

والده شهاب الدين أحمد فقد تحول من صنعة النجارة الى صنعة الذهب المدقوق فبرع بها وتميز وعرف بالذهبي[1] .

٤ ــ وقال في نهاية ص٨ متكلما على موسوعية الذهبي : « فقد وضع المصنفات الجامعة في علم الحديث ورجاله ، وفي علم التاريخ بحوادثه وبتراجم رجاله ، كما ألف كتباً في علوم القرآن ، مع الملم بالطب، وكذلك تدل بعض عناوين كتبه على اسهامه في الأدب الانشائي فهو جامع علوم وفنون شتى » . وهذا قول غير دقيق وذلك :

أ ــ ان الذهبي لم يكن مؤلفا بارعا مكثرا في علوم القرآن حتى يقال : « ألف كتبا في علوم القرآن » . علما ان المحقق الفاضل لم يذكر له كتابا واحدا في القراءآت ، فكيف عرف أنه ألف « كتبا » فيها . والواقع اننا بعد البحث والتقصي لم نستطع ان نقف الا على كتاب واحد مختصر في القراءآت ، لعله هو المعروف بـ « التلويحات في علم القراءآت » الذي ذكر بروكلمان نسخة منه[٣٢] .

ب ــ أما الممه بالطب فلعله يشير الى كتاب « الطب النبوي » المنسوب اليه . وينسب هذا الكتاب ايضا لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ . وقد ألف جماعة من المحدثين في « الطب النبوي » وهو جمع الاحاديث النبوية المتعلقة بالطب ، والظاهر ان كل واحد منهم كان يزيد على الكتاب شيئا او يهذب منه فينسب اليه[٣٣] فلا يصح عندئذ ان يقال ان له معرفة بالطب .

ج ــ ولم يكن الذهبي من المسهمين في الادب الانشائي وليس لدينا من عناوين كتبه ما يدل على ذلك اطلاقا ، اللهم الا رسالة في أربعة أوراق تنسب اليه وهي « مفاخرة المشمش والتوت » . وهذه الرسالة

لم يذكرها أحد ممن ترجم لشمس الدين الذهبي ، وذكر (ألفرت) نسخة منها كانت ببرلين[٢٤] . وفي مكتبة باش أعيان بالبصرة رسالة في «مفاخرة المشمش والتوت » لم يذكر مؤلفها ، وهي ضمن رسائل من عصره[٢٥] . ويمتاز اسلوبها بالصنعة البيانية والعناية بالمحسنات البلاغية ، ولم نعرف للذهبي أي اهتمام بمثل هذه الموضوعات ، ولذلك فنحن نشك في نسبة هذه الرسالة الصغيرة له .

د ــ وكان من الافضل للمحقق للتدليل على علم الذهبي وموسوعيته ان يشير الى أسهامه الكبير في الكتابة في الحديث وآدابه والفقه وأصوله والعقائد ونحو ذلك .

٥ ــ ولم نجد للمحقق الفاضل أية معرفة بمناهج البحث العلمي ، ها هو ذا ينقل مقتبسات عن طريق غير مباشر فيقع في كثير من الاغلاط والاوهام ، فقد نقل اقوالا لتاج الدين السبكي بواسطة ابن العماد الحنبلي المتوفى بعده بثلاثة قرون مع ان كتاب السبكي « الطبقات » مطبوع اكثر من مرة ومشهور بين الخاص والعام[٢٦] .

٦ ــ ومن أوهام المحقق في النقل وعدم دقته ، على سبيل المثال لا الحصر ، ما نقله عن السبكي في حق الذهبي : « اشتمل عصرنا على اربعة من الحفاظ بينهم عموم وخصوص : المزي والبرزالي والذهبي والشيخ الوالد ، ولا خامس لهم في عصرهم »[٢٧] والصحيح : «والشيخ الامام الوالد ، لا خامس لهؤلاء في عصرهم »[٢٨] ونقله قول السبكي: « كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد ثم أخذ يخبر عنها اخبار من حضرها »[٢٩] . والصحيح : « ... في صعيد واحد فنظرها ثم »[٣٠] وبها يستقيم المعنى .

٧ ــ وتكلم المحقق على الذهبي مؤرخا وتناول : « التاريخ والحديث في القرن الثامن الهجري ، تقارب منهجيهما ومدى تطابقهما »، وحاول جاهدا بيان وجود هذه الظاهرة عند المؤرخين والمحدثين وظهورها في هذا القرن وقدم الأثباتات التي تؤيد دعواه ، وكأنه اكتشاف جديد !! ولم يحاول ان يعرف ان هذه ظاهرة طبيعية وجدت منذ بدأت العناية بالحديث والتاريخ وان الظاهرة لم تكن وليدة القرن الثامن او السابع حتى يقال فيها هذه المقالة[٣١] .

٨ ــ ثم قسم المحقق التاريخ الى فرعين : الفرع الأول « علوم الطبقات والوفيات » والفرع الثاني هو فرع « الحوادث او الاخبار »[٣٢] وكرر هذه التعابير واعادها باعتبارها من الاصطلاحات، ولم يسأل نفسه ما معنى « علوم الطبقات والوفيات » . والحق انه لا توجد مثل هذه الاصطلاحات ، فالطبقات تنظيم من تنظيمات كتب الرجال ، والوفيات ايضا تنظيم آخر من هذه التنظيمات ، فضلا عن وجود تنظيمات اخرى مثل التنظيم على المدن ، والتنظيم حسب الانساب والتنظيم على حروف المعجم[٣٣] . وقد انتقلت هذه التنظيمات الى العلوم الاخرى منذ فترة مبكرة وصار يعرف بعلم التراجم ، وهو مفهوم اوسع حيث شمل المحدثين وغيرهم ، ومن هنا يتبين للقارىء عدم وجود تعبير « علم الطبقات والوفيات » . ولكن مما تجدر الاشارة اليه ان العلماء المسلمين استعملوا لفظ « الوفيات » للدلالة على التراجم عموما فكانوا يقولون مثلا ان الكتاب الفلاني تناول الحوادث والوفيات ، وهو على كل حال تعبير متأخر .

٩ ــ وقال المحقق الفاضل في ص١٢ : « ثم كان القرن الثامن

ايضا قرن ظهور التآليف الموسوعية التقليدية عن طريق المشاركة في التأليف جيلا بعد جيل . ونحن نحب ان نقف عند هذه الخاصية الاخيرة من خواص القرن الثامن لاتصالها بانتاج الذهبي » . ثم قدم أمثلة على هذه « المشاركة » وتبين أنه يريد بها « التذييل » وهو ان يأتي مؤلف يكمل ما بدأه مؤلف سبقه او يذيل عليه .

والعجيب أن يسمي المحقق هذا العمل « مشاركة » في حين لا علاقة له بمثل هذا الامر ، فالمؤلف اللاحق لم « يشترك » مع المؤلف السابق في التأليف حتى يقال أنه شاركه فيه . يضاف الى ذلك ان هذه الظاهرة ، أعني ظاهرة التذييل ، كانت موجودة منذ فترة مبكرة ولم تكن من سمات القرن الثامن الهجري ، فقد ألف أبو بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ « تاريخ بغداد »[٣٤] ووقف به عند وفاته ، وهو أمر طبيعي ، وجاء أبو سعد عبدالكريم بن محمدالسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ فألف ذيلا لهذا التاريخ[٣٥] . وذيّل الحافظ أبو عبدالله ابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ على ذيل السمعاني ووصل به الى سنة ٦٢١هـ[٣٦] . ووضع محب الدين ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣هـ ذيلا لتاريخ الخطيب سماه « التاريخ المجدد لمدينة السلام واخبار فضلائها الاعلام ومن وردها من علماء الانام »[٣٧] . وذيّل على تاريخ ابن النجار ، مؤرخ العراق تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ[٣٨] ، كما ذيل على ابن النجار أيضا الامام تقي الدين ابو المعالي محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ[٣٩] . ويصح مثل هذا القول على كتب الادب مثل اليتيمة للثعالبي والدمية للباخرزي والخريدة للعماد ... الخ ، فهل

يصح بعد كل هذا ان يقال : ان القرن الثامن امتاز بهذه الميزة ! ؟ وانا مستعد لاذكر للمحقق الفاضل عشرات الامثلة على ظاهرة التذييل التي تعود الى قرون كثيرة قبل القرن الثامن الهجري .

١٠ ــ وقال المحقق الفاضل ــ حفظه الله ــ ان تاريخ البرزالي انتقل الى ابن كثير عن طريق التذييل والاختصار ، وادعى انه نقل ذلك عن كشف الظنون لحاجي خليفة (ص ٨٣٤) وان البرزالي قد كتب تاريخا « صار موضع عناية الاجيال » على حد تعبيره ، وان ابن كثير لخصه الى عام ٧٣٨هـ ثم ذيل عليه الى عام ٧٧٣هـ واقتصر على الحوادث دون الوفيات[٤٠] .

وفي هذا القول جملة اخطاء هي :

أ ــ ان البرزالي لم يؤلف تاريخا كاملا من أول الاسلام الى زمانه حتى يقال ان ابن كثير قد اختصر تاريخه ، فنحن نعلم ان تاريخ ابن كثير المعروف بالبداية والنهاية في التاريخ قد ابتدأ بالخليقة ثم بظهور الاسلام ، ورتب تاريخه من الهجرة حسب السنين واستمر فيه الى قبيل وفاته . أما تاريخ البرزالي الذي يشير اليه المؤرخون ، ومنهم حاجي خليفة وابن كثير نفسه ، فهو الذيل الذي عمله على تاريخ أبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ والذي ابتدأه من هذه السنة وانتهى به الى سنة ٧٣٨هـ ويسمى « المقتفي لتاريخ ابي شامة »[٤١] ، ولم يذكر أحد أنه ألف غير هذا التاريخ ، قال ابن كثير : « وقد كتب تاريخا ذيل به على الشيخ شهاب الدين من وفاته ومولد البرزالي الى ان توفى في هذه السنة »[٤٢] يعني سنة ٧٣٩هـ .

ب ــ ان ابن كثير لخص هذه الفترة التي تناولها البرزالي في

تاريخه أعني الفترة الواقعة بين ٦٦٥ـ٧٣٨هـ ، فقال في نهاية سنة ٧٣٨ من كتابه البداية والنهاية : « وهذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي ، وقد ذيلت على تاريخه الى زماننا هذا »[٤٣] .

جـ ـ وقد ضرب لنا المحقق الفاضل مثالا آخر على طريقة « المشاركة » أورد فيها كتاب « الروضتين » لابي شامة ، والذيل عليه ثم تذييل البرزالي على تاريخ أبي شامة (ص ١٤) .

وهذا في حقيقته ليس مثالا ثانيا انما هو المثال الصحيح ، أما المثال الاول فلا صحة له لأن البرزالي لم يؤلف غير هذا التاريخ ، وقد جعل المحقق الفاضل الكتاب كتابين والمثل مثلين فتأمل ذلك جيدا ! .

١١ ـ وقدم المحقق الاديب مثالا ثالثا على طريقة « المشاركة » المزعومة في كتاب « العبر » للذهبي فقال في ص ١٥ : « كتب الذهبي كتاب العبر في خبر من غبر ووقف عند سنة ٧٤٠هـ » .

وهذا خطأ فاضح ، فكتاب العبر يقف عند سنة ٧٠٠هـ لانه في أصله مختصر من كتاب « تاريخ الاسلام » الذي يقف عند هذه السنة والطريف ان الكتاب مطبوع منتشر مشهور وقد صدر في الكويت بخمسة اجزاء حققها الاستاذان الفاضلان : المرحوم فؤاد سيد ، والدكتور صلاح الدين المنجد .

وقد التبس الامر على المحقق بسبب نقله العشوائي عن حاجي خليفة الذي وقع في هذا الغلط قبله ، ولكنه غير معذور ان لا يعرف ان الذهبي قد ذيل كتابه « العبر » الى سنة ٧٤٠هـ ، وقد نشر هذا الذيل،

مع ذيول آخرى ، صديقنا العلامة المرحوم رشاد عبدالمطلب المصري المتوفى بالقاهرة في آخر يوم من سنة ١٣٩٤هـ ، وطبعته الحكومة الكويتية .

١٢ ــ وذكر المحقق ان أبا المحاسن الحسيني ذيل على العبر الى آخر سنة ٧٦٢هـ ، ٧٦٤هـ ، وقال : « كذا يذكر تاريخين في كشف الظنون » (ص ١٥ من المقدمة) .

ومن يقرأ هذا يتصور ان الكتاب مفقود حتى يظن به مثل هذا الظن ويعتمد حاجي خليفة في نهاية الكتاب . والحق ان الكتاب مطبوع منذ سنين ، وهو يقف عند سنة ٧٦٤هـ وقد نشره المرحوم رشاد عبدالمطلب مع ذيل الذهبي بالكويت .

١٣ ــ وذكر المحقق في الصفحة ١٦ ان ولي الدين العراقي توفى سنة ٨٢٠هـ او سنة ٨٢٦هـ معتمدا حاجي خليفة . وهذا غير مقبول منه ، وذلك ان المؤرخين المعاصرين له ذكروا انه توفى سنة ٨٢٦هـ ووفاته في هذه السنة مشهورة جدا لا تحتاج الى مثل هذا التردد .

١٤ ــ ولما كان المحقق معجبا بمبدأ « المشاركة » الذي اخترعه فقد اكثر من الامثلة وقدم لنا في مثاله «الخامس» نمطا جديدا منها ، فالظاهر انه اعتبر « المختصرات » من ضمن هذه المشاركة أيضا حتى وان كان المؤلف هو الذي اختصرها ، فقد ذكر في الصفحة ١٦ من مقدمته أن الذهبي ألف كتاب « المغني في الضعفاء والمتروكين » الذي كان أساس « المشاركة » ثم كتب بعد ذلك « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » في نفس الموضوع مع زيادات ، ثم جاء مؤلف مجهول فألف كتابا سماه « المقتضب من الميزان الذهبي » ثم جاء السيوطي فألف

ذيلا على كتاب الذهبي « المغني » .

وحينما يطالع الباحث مثل هذا الكلام لايجد فيه غاية ولا معنى بل هو يتناقض تماما مع الذي سوف يذكره المحقق في ص ٣٢ من مقدمته حيث يقول : « ومعنى ذلك ان الذهبي اختصر الميزان مرتين : مرة في « المغني » ومرة في « المختصر » الذي ذكره السيوطي ... » ، فأين اصبح الاصل بعد كل هذا الذي ذكره المحقق الفاضل .

والحقيقة الواضحة ان المحقق لا يعرف كتب الذهبي ولم يرها فوقع في كل هذا التناقض وخرج بمثل تلك الاستنتاجات . ومن ثم فان الذهبي قد ألف مجموعة من الكتب في موضوع « الضعفاء » لا علاقة لها « بالمشاركة » المزعومة ، فهو ناقد بارع ومحدث من كبار المحدثين المعنيين بمثل هذا العلم كان لابد له من العناية بمثل هذا الموضوع .

لقد ألف الذهبي كتابه «المغني في الضعفاء» كما ذكر الصفدي[٤٤]، والسبكي[٤٥] ، والزركشي[٤٦] ، وسبط ابن حجر[٤٧] ، وحاجي خليفة[٤٨] ، والبغدادي[٤٩] . وكان الاستاذ الفاضل الدكتور نورالدين عتر قد حققه تحقيقا علميا ، ونشرته دار المعارف بحلب منذ سنة ١٩٧١م . وقد توهم ابن تغري بردى حينما ذكر انه الفه قبل «الميزان» وانه مختصر للميزان[٥٠] ، وتابعه ابن العماد في هذا الوهم[٥١] ، فقد صرح الذهبي في مقدمة الميزان بقوله : « ألفته بعد كتابي المنعوت بالمغني »[٥٢] .

وألف الذهبي أيضا « ديوان الضعفاء والمتروكين » كما ذكر السبكي[٥٣] ، وسبط ابن حجر[٥٤] ، والسخاوي[٥٥] . وهذا الكتاب هو غير كتاب « المغني » فقد وقفنا على نسخة جيدة منه في دار الكتب

الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث ، الورقة ١٤٥ـ٢٢٧، ونسخة أخرى بمكتبة السلطان احمد الثالث باستانبول تحمل الرقم ١/٣٠٥٣ . وقد أبانت المعاينة والمقارنة وتطبيق المنهج في التراجم أن هذا الكتاب لايمكن أن يكون هو كتاب « المغني » لعدة أسباب من أبرزها :

١ ـ تصريح المؤلف في مقدمة الكتاب بعنوانه حيث قال : « أما بعد ، فهذا ديوان اسماء الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين ... الخ » .

٢ ـ تمتاز مقدمة الديوان بقصرها ، وهي تختلف عن مقدمة كتاب « المغني » .

٣ ـ رتب الذهبي كتاب المغني حسب حروف المعجم من غير نظر لأي اعتبار آخر فابتدأ كتابه بمن اسمه أبان ثم ابراهيم ... الخ في حين بدأ في الديوان بمن أسمه « احمد » .

ثم عمل الذهبي ذيلا لهذا الديوان ، وقد رأينا من هذا « الذيل » نسختين : الاولى في دار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٣٦٩ حديث ويقع بين الورقتين ٢٢٧ـ٢٣٩ وهي نسخة قوبلت على الاصل المنتسخ منه ، والثانية في نهاية نسخة أحمد الثالث من كتاب « ديوان الضعفاء » ذات الرقم ٣٠٥٣ . وقد استدرك المؤلف في هذا الذيل ما فاته في كتاب الاصل « ديوان الضعفاء » ورتبه على ترتيب الاصل نفسه وجاء في أوله : « ... هذا ذيل على كتابي ديوان الضعفاء التقطته من عدة تواليف وهذا شيء لا سبيل الى استيعابه وانما هو بحسب ما عرفت او اطلعت عليه ... » .

أما كتاب « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » فهو يمثل قمة معلومات الذهبي في النقد ، وهو حصيلة كل مؤلفاته ومختصراته الكثيرة في هذا الفن ، وهو الذي اكسبه شهرة عظيمة في هذا الفن ، وقد اعتمد فيه معظم المصنفات التي سبقته في الضعفاء او التي جمعت بين الضعفاء والتي ألفها كبار النقاد .

ولو كان المحقق الفاضل ـ حفظه الله ـ يريد تبيان عناية العلماء والمؤلفين بكتب الذهبي في هذا الفن ، ولا سيما كتابه الميزان ، فما كان عليه ان يذكر « المقتضب من الميزان » لمجهول ، والذيل الذي عمله السيوطي على المغني ولا يعرف بعد ذلك غيرها ، وهما كتابان تافهان قياسا بالكتب والمختصرات والمؤلفات الاخرى ، وهاك بعضها :

أ ـ فقد علق عليه ، أعني على الميزان ، تلميذه شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني ، قال ابن حجر في الدرر : « وله تعليق على الميزان بيّن فيه كثيرا من الاوهام واستدرك عليه عدة أسماء وقفت على قدر يسير منه ، قد احترقت أطرافه لما دخلت دمشق سنة ست وثلاثين (يعني وثمان مئة)[٥٦] .

ب ـ وألف تلميذه الحافظ المؤرخ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ كتاب « التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » جمع فيه بين تهذيب الكمال لابي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ و « ميزان الاعتدال » للذهبي مع زيادات وتحرير عليهما في الجرح والتعديل . وقد شاهدت نسخة منه في دار الكتب المصرية ونقلت منها بعض الفوائد ، وهي فيها برقم ٢٤٢٢٧ ب في مجلدين .

جـ ــ وذيل على « الميزان » الحافظ زين الدين أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ ، قال الشمس السخاوي : « وذيل عليه الزين العراقي في مجلد »[٥٧] وقال ابن فهد : « وذيل على الميزان ثم لم يبيضه »[٥٨] وذكر ابن حجر انه وقف عليه فرأى أن الكثير منهم من رجال « تهذيب الكمال » لأبي الحجاج المزي[٥٩] .

د ــ وذيل على الميزان أيضا الحافظ برهان الدين ابراهيم بن محمد الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي المتوفى سنة ٨٤١هـ[٦٠] ، بل ألف كتابا سماه « نقد النقصان في معيار الميزان » في مجلد[٦١] .

هـ ــ واهتم الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ بكتاب « الميزان » فألف « تحرير الميزان »[٦٢] و « لسان الميزان » ، وكتابه الاخير من الكتب المشهورة المطبوعة المتداولة . وذكر السخاوي أنه حققه عليه ، وقال : « ولي عليه بعض زوائد »[٦٣] .

و ــ وجمع جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ « زوائد اللسان على الميزان » . فتأمل ايها القارىء الباحث بين الذي ذكره المحقق وبين الذي ذكرناه .

١٥ ــ أما مثاله السادس في « المشاركة » فقد كان على اساس تذكرة الحفاظ للذهبي ، وقد ذكر المحقق في الصفحة ١٧ انه أضيفت للتذكرة ثلاثة ذيول هي : ذيل الحسيني ، وذيل ابن فهد ، وذيل السيوطي وفاته :

أ ــ ان نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ[٦٤]،

رتب كتاب التذكرة وذيل الحسيني وذيل والده ابن فهد على حروف المعجم[٦٥] .

ب ـ وعمل محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ ذيلا على كتاب والد جده « لحظ الألحاظ » سماه : « تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ »[٦٦] .

جـ ـ أما جلال الدين السيوطي فلم يذيل على تذكرة الحفاظ حسب ، بل اختصر تذكرة الحفاظ للذهبي وذيول الحسيني وابن فهد ، واستدرك على الحسيني ست تراجم[٦٧] وترجمتين على ابن فهد وزاد في بعض التراجم كترجمة الذهبي مثلا[٦٨] .

د ـ والتقط الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ من تذكرة الحفاظ للذهبي من ليس في « تهذيب الكمال » لأبي الحجاج المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ وذيل بكراسة فيها (٢٨) ترجمة ، وذكر السخاوي أن له زيادات أيضا[٦٩] .

هـ ـ وقام عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكي الحنبلي كاتب الذهبي المتوفى سنة ٧٨٦هـ[٧٠] بنظم وفيات الحفاظ الواردة تراجمهم في التذكرة بحروف الجمل وسماه : « الاعلام في وفيات الاعلام »[٧١] .

و ـ ونظم الحافظ ابن ناصرالدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢هـ تذكرة الحفاظ بمنظومة سماها « بديعة البيان في وفيات الاعيان »[٧٢] وشرحها في مجلد نفيس سماه : « التبيان لبديعة البيان »[٧٣] وجملة ما زاده على الذهبي ست وعشرون ترجمة .

الهوامش

١ ـ هذه الاضافة من المحقق للتوضيح !
٢ ـ هكذا كتبها المحقق نقلا عن تذكره الحفاظ ، وهي فيها : «المفس» والصحيح انها « المقس » كما سيأتي ·
٣ ـ ص ٧ـ٨ من مقدمة المحقق ·
٤ ـ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج٤ ص ١٤٧٩ـ١٤٨٠ ·
٥ ـ الذهبي : معجم الشيوخ ، م ١ الورقة ١٨ (نسختي المصورة)·
٦ ـ تاريخ الاسلام ، الورقه ٢٥٧ (نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤) ·
٧ ـ نسخه باريس رقم ٦٧٣٩ ، م٢ الورقة ٦٠ ·
٨ ـ معجم البلدان ، ج ٤ ص٦٠٦ (ط · اوربا) ·
٩ ـ معرفة القراء الكبار ، ص٥٥١ ·
١٠ ـ نفسه ، ص٥٥٨ ·
١١ ـ الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤٧ (أيا صوفيا ، رقم ٣٠١٤) ·
١٢ ـ الذهبي : معجم الشيوخ ، م١ الورقة ٥٧ ·
١٣ ـ المصدر السابق ، م٢ الورقة ٦ ·
١٤ ـ المصدر السابق ، م١ الورقة ١٢ ·
١٥ ـ المصدر السابق ، م١ الورقة ٨٩ وأهل مئة فصاعدا ، ص١٢٧ (بتحقيقنا) ·
١٦ ـ معجم الشيوخ ، م١ الورقة ٨٩ ·
١٧ ـ الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٤ (نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤) ومعجم الشيوخ ، م١ الورقة ١٣ ، والصفدي : الوافي م٧ الورقة٨٦
١٨ ـ الذهبي : أهل المئة فصاعدا ، ص١٢٧ ·
١٩ ـ نسخة أيا صوفيا ، رقم ٣٠١٢ ·
٢٠ ـ الذهبي : معجم الشيوخ ، م١ الورقة ٨٩ ·
٢١ ـ الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٤ (ايا صوفيا ٣٠١٤) والصفدي : الوافي م٧ الورقة ٨٦ ·
٢٢ ـ تاريخ الادب العربي ، الملحق ج٢ ص٤٧ (بالالمانية) ، وراجع كتابنا : الذهبي ومنهجه (القاهرة ١٩٧٦) ·

٢٣ ـ الف فيه مثلا ابو نعيم الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، وابو العباس المستغفري المتوفى سنة ٤٣١هـ (كشف الظنون ، ج١ عمود ١٠٦٥) والضياء المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ (ابن حجر : المجمع المؤسس ، الورقه ١٣٧) وراجع الدكتور سامي خلف حمارنه في كتابه : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الطب والصيدله ص٥٠٦ـ٥١٣ (دمشق ١٩٦٩) .

٢٤ ـ راجع المجلد السابع من فهرس الفرت ، ص٥٥٤ (بالالمانيه) .

٢٥ ـ منها نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي وهي في أربعة أوراق تقع بين الورقتين ١٧ـ٢٠ .

٢٦ ـ انظر مثلا ص ٩ ، ١٠ ... الخ .

٢٧ ـ ص٩ .

٢٨ ـ الطبقات الكبرى ، ج٩ ص١٠٠ .

٢٩ ـ ص١٠ .

٣٠ ـ الطبقات ، ج٩ ص١٠١ .

٣١ ـ راجع كتابنا : أثر الحديث في نشأة علم التاريخ عند المسلمين ـ بغداد ١٩٦٦ .

٣٢ ـ ص١٠ فما بعد .

٣٣ ـ راجع بحثنا : أصالة الفكر التاريخي عند العرب (بحث ألقي في المؤتمر الدولي للتاريخ الذي عقد ببغداد سنة ١٩٧٣) ونشرته وزارة الاعلام العراقية .

٣٤ ـ طبع في القاهرة سنة ١٩٣١ في ١٤ مجلد .

٣٥ ـ فقد هذا التاريخ ولكن وصلت الينا مقتطفات منه في « تاريخ بغداد » للبنداري (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٦١٥٢ عربيات) . واختار منه ابن منظور صاحب « اللسان » كتابا بعد ان اختصره (عندي نسخة مصورة منه) .

٣٦ ـ توجد منه نسخ متعددة وقد بدأنا بنشره وظهر المجلد الاول منه سنة ١٩٧٤ مطبوعا في سلسلة احياء التراث التي تصدرها وزارة الاعلام العراقية .

٣٧ ـ ضاع هذا الكتاب وبقي منه مجلدان : العاشر والحادي عشر وهما في دار الكتب الظاهرية بدمشق والمكتبة الوطنية بباريس .

٣٨ ـ السخاوي : الاعلان ، ص٦٢٢ .

٣٩ ـ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج٤ ص٥٩ ٠
٤٠ ـ ص١٣ ٠
٤١ ـ عندي نسخه مصورة منه نقف عند سنه ٧١٠هـ ٠
٤١ ـ البدايه والنهايه ، ج١٤ ص١٨٥ ٠
٤١ ـ ج١٤ ص١٨١ علما ان هذا الدين الذي اشار اليه ابن كثير لا علاقه له بكتابه « البدايه والنهايه » ٠
٤٤ ـ الوافي ١/١١٤ وفات الهميان ، ص١٤٢ ٠
٤٥ ـ الطبقات ٦/١٠٤ ٠
٤١ ـ عقود الجمان ، الورقه ٧٩ ٠
٤٧ ـ رونق الالفاظ ، الورقه ١٨٠ ٠
٤٨ ـ كشف الظنون ، ١/١٧٥٠ ٠
٤٦ ـ هديه العارفين ٢/١٥٥ ٠
٥٠ ـ المنهل الصافي ، الورقة ٧١ ٠
٥١ ـ شذرات الذهب ٦/١٥٥ ٠
٥٢ ـ ميزان الاعتدال ١/١ ٠
٥٣ ـ الطبقات ٩/١٠٤ ٠
٥٤ ـ رونق الالفاظ ، الورقة ١٨٠ ٠
٥٥ ـ الاعلان ٥٨٧ ٠
٥٦ ـ الدرر الكامنة ٤/١٨٠ ٠
٥٧ ـ الاعلان ٥٨٧ ٠
٥٨ ـ لحظ الالحاظ ، ص٢٣١ ٠
٥٩ ـ كشف الظنون ٢/١٩١٧ـ١٩١٨ ٠
٦٠ ـ بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٢/٦٧ (بالالمانية) ٠
٦١ ـ ابن فهد : لحظ الالحاظ ٣١٣ـ٣١٤ ، الشوكاني : البدر الطالع ١/٢٨ ٠
٦٢ ـ السخاوي : الاعلان ، ص٥٨٧ ٠
٦٣ ـ نفسه ٠
٦٤ ـ السخاوي : الضوء اللامع ٦/١٢٦ والشوكاني : البدر الطالع ١/٢٩٦ ٠
٦٥ ـ السخاوي : الاعلان ، ص٥٦٥ ٠
٦٦ ـ راجع آخر لحظ الالحاظ ، ص٣٨٣ وابن شيخ العيدروس : النور السافر ، ص٢٤١ ٠

٦٧ ـ منها خمس تراجم في الطبقة الثانية والعشرين ، وترجمةواحدة في الطبقة الرابعة والعشرين ٠

٦٨ ـ توجد من الكتاب نسخة مضبوطة في مكتبة البلدية بالاسكندرية (رقم ٨٢٢ ب) في ٩٠ ورقة ٠ وكان الكتاب قد طبع في اوربا سنة ١٨٣٣م ، ثم أعاد تحقيقه السيد علي محمد عمر ، ونشرته مكتبة وهبة في القاهـرة سنة ١٩٧٣ ٠

٦٩ ـ الاعلان ، ص٥٦٥ ٠

٧٠ ـ ابن فهد : لحظ الالحاظ ، ص١٦٦ـ١٦٧ ، ابن حجر : الدرر ٤٠٤/١ ، ابن ناصر الدين : التبيان ، الورقة ١٧٠ ٠

٧١ ـ توجد في خزانة كتبي نسخة مصورة عن نسخة أيا صوفيا ذات الرقم ٢٩٦١ (٢) وهي في ٤٨ ورقة ٠ وشاهدت نسخة أخرى منه محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣١٩٢ تاريخ في ٩٣ صفحة ٠

٧٢ ـ انظر نسخة جامع الزيتونة بتونس ١٦٧٢ ٠

٧٣ ـ في خزانة الاستاذ صبحي السامرائي نسخة مصورة منها وهي في ١٧٨ ورقة ٠

الفصل الثاني

ملاحظات على مؤلفات الذهبي

نجد في القسم الثاني من مقدمة المحقق دراسة عن كتب الذهبي التاريخية وقد قسمها المحقق الفاضل أربعة أقسام هي : كتب الذهبي المطبوعة ، والكتب المخطوطة المسلسلة (كذا) ، والكتب المفـــردة المطبوعة، والكتب المخطوطة المساسلة (كذا) ، والكتب المفردة المخطوطة، وكتبه الضائعـــة ، وقال : « وقد جعلنا أساس التحديد ما قدمناه من مفهوم التاريخ عند المؤرخين في القرن الثامن الهجري ، واعتبرنا من التاريخ كتبا يمكن ان تعتبر أيضا من الحديث ، ونحن في هذا منصفون كل الانصاف : لأننا نطبق على القرن الثامن نفس المبـادىء والافكار المصطلح عليها فعلا حينئذ (كذا) . ص٢٠ .

ومما يؤسف له أن المحقق ادعى دعاوى عريضة في « دراسته » هذه التي لاتخلو صفحة واحدة منها من خطأ مستعظم ، وصار يرد على الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد في مقدمته لكتاب « سير أعـلام النبلاء » ، وهي من المقدمات الجيدة الدقيقة عموما ، بحيث يتصـور القارىء أنه بذل جهودا تفوق جهود الاخرين مع انه ، كما سيظهر لـم يفهم شيئا من هذه الكتب ولم ير معظمها !!

اولا : الكتب المطبوعة :

١ ــ قال ــ حفظه الله ــ في أول كتاب من الكتب المطبوعة ، ص٢٠ : « تذهيب التهذيب ، وقد طبعت خلاصته في مصر سنة ١٣٠١هـ» .

ولا أدري لماذا ذكر هـــذا الكتاب من بين كتب الذهبي المطبوعة مع انه لم يزل مخطوطا ، ولا عبرة بالخلاصة المطبوعة ، علما بأن هذه « الخلاصة » ليست للذهبي ، وانما هي لصفي الدين أحمد بن عبدالله بن أبي الخير بن عبدالعليم الخزرجي الانصاري المتوفى سنة ٩٢٣هـ الذي قيد كثيرا من الاسماء بالحروف وزاده من بعض الكتب الاخرى • وقد فاته أن يشير الى أن التذهيب ما هو الا مختصر من « تهذيب الكمال » لابي الحجاج المزي •

٢ ــ وذكر المحقـــق في ثاني كتاب من الكتب المطبوعة التي ذكرها : « تجريد أسماء الصحابة • طبع في حيدر آباد سنة ١٣١٥ هـ »• وفاته :

أ ــ أنه طبع مرة أخرى في بومباي بالهند سنة ١٩٦٩م •

ب ــ أنه اختصره من كتاب « أسد الغابة » لابن الاثير •

٣ ــ وقال في ثالث كتاب من المطبـوعات : « المشتبه في الاســماء والانساب » • طبع في مجلد واحد ، ليدن ١٢٩٩هـ ــ ١٨٨١م • وتكملة العنـــوان : والكنى والالقـــاب • وقد اقتنى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية مخطوطة هـــذا الكتاب • فنقول :

أ ــ ان اسم الكتاب الصحيح : « المشتبه في الرجال : اسمائهم وانسابهم » •

ب ــ حققه أول مرة المستشرق الهولندي (دى يونغ) ونشـره في ليدن سنة ١٨٦٣م في ٦١٢ صفحة ، ثم أعادت طبعه مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٦٢م بعناية الســيد

علي محمد البجاوي في جزأين .

جـ ـ نُسَخ الكتاب كثيرة ، فلا يقال بعد ذلك بأن معهد المخطوطات قد اقتنى نسخة منه ، ففي استانبول ثلاث نسخ منه : الاولى في أحمد الثالث برقم ٣٠٢٨ ، والثانية في كوبرلي برقم ٣٨٦ ، والثالثة في جارالله برقم ٤٣٩ . وهناك نسخة في الاسكوريال برقم ١٧٨١ ، ونسخة بجامع القرويين بفاس برقم ٦٢٩ ، وأخرى في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٣٦٩ ، واخرى بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة برقم ١٨٨ مجاميع وغيرها .

٤ ـ وقال في الكتاب الرابع من الكتب المطبوعة التي ذكرها : ص٢١: « ميزان الاعتدال ... طبع في لوكنت ١٣٠٢هـ ـ ١٨٨٤م وطبع في القاهرة سنة ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٨م » . قلت : وطبع في دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٦٣ بعناية البجاوي .

٥ ـ وقال عن الكتاب الخامس : « طبقات الحفاظ . نشره وستنفلد. غوطا سنة ١٢٤٩هـ ـ ١٨٣٣م ، اختصره السيوطي » ثم قال في الكتاب السابع : « تذكرة الحفاظ . أربعة أجزاء . طبع بالهند ... » .

أقول :

أ ـ ان كتاب « طبقات الحفاظ » ليس للذهبي ، بل هو للسيوطي ، لانه هو المُختَصِر ، والظاهر أن المحقق الفاضل ظنهما كتابين ، أعني هو والتذكرة ، كلاهما ، للذهبي فذكرهما منفصلين ، وهذا غير صحيح اطلاقا .

ب ــ مما يستفاد ان مختصر السيوطي المسمى « طبقات الحفاظ » قد أعاد تحقيقه السيد علي محمد عمر ، ونشرته مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٧٣ .

٦ ــ وقال في الكتاب السادس من المطبوعات التي ذكرها ، ص ٢١ ايضا : « الطب النبوي . ترجمة فرنسية بالجزائر سنة ١٢٧٧هـ ــ ١٨٦٠م وطبع بمصر سنة ١٢٧٨هـ ــ ١٨٦١م » .

قلت :

أ ــ طبع غير مرة بعد ذلك .

ب ــ ينسب هذا الكتاب أيضا لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ (حاجي خليفة : كشف ٢/١٠٩٥) . والطريف أن أحدا ممن ترجم للذهبي أو ذكر كتبه ، لم يذكر له هذا الكتاب ، وما كان الطب من مزاجه ومجاله .

جـ ــ ومما يستفاد أن جماعة من المحدثين ألفوا في « الطب النبوي » والظاهر أن كل واحد منهم كان يزيد على الكتاب شيئا أو يهذب فيه فينسب اليه ، فقد ألف فيه مثلا أبو نعيم الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ وأبو العباس المستغفري المتوفى سنة ٤٣٢هـ[١] والضياء المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣هـ[٢] ، وقد فصل في هذا الموضوع الدكتور الفاضل سامي خلف حمارنة حينما وضع فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية عن الطب والصيدلة[٣] . فكان ينبغي الاشارة الى أن هذا الكتاب من الكتب المنسوبة للذهبي وغيره .

د ـ ثم لا أدري ما علاقة هذا الكتاب بالكتب التاريخية حتى يذكر ضمنها .

٧ ـ وقال عن الكتاب الثامن منها : « الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم » .

أقول :

هكذا ورد عنوان الكتاب في المطبوعة . وعندي أن الصحيح في أسم الكتاب هو : « من تكلم فيه وهو موثق » وهو العنوان الذي ذكره تلميذه صلاح‌الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ ، وقد ذكر الصفدي أنه كتبه بخطه وقرأه على مؤلفه[٤] .

٨ ـ وقال في الصفحة نفسها ، ص٢١ : « العبر في خبر من غبر . نشره الاستاذ صلاح‌الدين المنجد في الكويت ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م » . والصحيح :

نشره كل من الدكتور صلاح‌الدين المنجد والمرحوم الاستاذ فؤاد سيد ، فقد حقق الدكتور المنجد الاجزاء ١ ، ٤ ، ٥ ، وحقق المرحوم فؤاد سيد الجزأين الثاني والثالث ، ونشر بالكويت بين سنتي ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩م .

٩ ـ وقال في الصفحة ٢٢ : « سير أعلام النبلاء . نشره الاستاذ صلاح الدين المنجد ... » .

والصواب :

حقق الدكتور المنجد ثلاثة أجزاء منه فقط ابتداء من سنة ١٩٥٦ ونشرتها جامعة الدول العربية ، لكنها توقفت عن نشره . وقد علمت اثناء رحلتي الى البلاد المصرية في أواخر سنة ١٣٩٤هـ أن

الجامعة كانت قد وزعت مجلدات منه تصل الى المجلد الثامن على بعض المعنيين بالتراث العربي وانها عازمة على نشره .

١٠ــ وقال في الكتاب الذي يليه : « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد نشره الاستاذ مصطفى جواد ببغداد ... وقد اختصره المؤلف من ذيل الدبيثي على تاريخ بغداد للخطيب ... » .

أقول :

أ ــ ان عنوان الكتاب الصحيح هو : « المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ أبي عبدالله محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي » .

ب ــ لم ينشر الدكتور مصطفى جواد ــ رحمة الله عليه ــ جميع الكتاب ، فقد نشر منه جزأين ، وبقي منه جزء ثالث لم يطبع بعد ، وقد عهد المجمع العلمي العراقي الى عضوه العامل الاستاذ الدكتور ناجي معروف بالاشراف على طبعه لنشره ، ولعله يظهر في بداية سنة ١٩٧٧م .

ج ــ ان تاريخ ابن الدبيثي لم يكن ذيلا على تاريخ الخطيب البغدادي ، بل هو ذيل على ذيل تاريخ الخطيب الذي وضعه أبو سعد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ ، قال ابن الدبيثي في مقدمة تاريخه : « جعلناه تاليا لكتاب التاريخ الذي ألفه تاج الاسلام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني المروزي ومذيلا عليه ، وقفونا أثره فيما رسمه ورتبه ، وبدأنا من حيث انتهى اليه ووقف عنده الى زماننا الذي نحن فيه وعصرنا الذي شاهدنا أهله ... ولم نذكر ممن ذكر الا

من تأخرت وفاته بعده .. »[٥] .

١١ــ ثم قال المحقق الفاضل مستطردا عند ذكره للمختصر المحتاج اليه:

« ويلاحظ أن ابن أحد شيوخ الذهبي وهو ابن الدمياطي ، الحافظ أحمد بن أيبك المعروف بابن الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩هـ قد ألف في نفس الموضوع مؤلفا سماه : « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » انتقاه من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار » .

أقول :

الظاهر أن المحقق الفاضل مغرم بلصق الانساب بعضها ببعض ، فهو يريد « بأحد شيوخ الذهبي » العلامة المشهور شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ صاحب « المعجم » المشهور ومن شيوخ الذهبي البارزين[٦] ، وليس للذهبي شيخ دمياطي مشهور غيره . أما صاحب « المستفاد » فشخص آخر لا علاقة له البتة بهذا الرجل ، فهو شهاب الدين احمد بن أيبك بن عبدالله الحسامي الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩هـ ، مات بالطاعون العام الذي انتشر بالبلاد المصرية في هذه السنة ، قال أبو المحاسن الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ : « الشيخ الامام العالم الحافظ المخرج المفيد شهاب الدين أبو الحسن احمد ابن أيبك بن عبدالله الحسامي المعروف بالدمياطي ، محدث مصر ، ولد بها سنة سبع مئة ... وقدم دمشق عام أربعين ... وخرّج لجماعة وانتقى عليه شيخنا الذهبي جزءا حدث به بدمشق ثم رجع الى بلده ومات في طاعون سنة ٧٤٩ »[٧] .

١٢ــ وقد فاته ان يذكر من كتب الذهبي التاريخية المطبوعة :

١ ــ أهل المئة فصاعدا • وهو في المعمرين ، حققه وعلق عليه كاتب هذه السطور الدكتور بشار عواد معروف ونشره في مجلة المورد العراقية سنة ١٩٧٣م (المجلد الثاني ، العدد الرابع) •

٢ ــ تراجم رجال روى عنهم محمد بن اسحاق • نشره فشر في ليدن سنة ١٨٩٠م وفي مجلة جمعية المستشرقين الالمان سنة ١٨٩٥ •

٣ ــ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة • تحقيق عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموشي ــ القاهرة ١٩٧٢ •

٤ ــ معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار • نشره نشرة رديئة محمد سيد جاد الحق بالقاهرة سنة ١٩٦٩ •

ثانيا : الكتب المخطوطة :

٥ ــ المغني في الضعفاء • حققه تحقيقا علميا الدكتور نورالدين عتر ونشر بحلب سنة ١٩٧١ •

١٣ــ وذكر المحقق بعد كتب الذهبي المطبوعة « كتبه المخطوطة على شكل سلاسل » فذكر تاريخ الاسلام ومختصراته ، ثم العبر في خبر من غبر وذيله ، وسير أعلام النبلاء ، وتذهيب تهذيب الكمال، والمغني في الضعفاء والمتروكين ، ومعجم الشيوخ •

وهذا خلط عجيب لم نره عند أحد من قبل ولم نفهم اطلاقا ماذا قصد المحقق الفاضل بهذه « السلاسل » وكيف يكوّن سير أعلام النبلاء « سلسلة» ثم كيف يكوّن المغني « سلسلة »،

ثم الاعجب من كل ذلك كيف يكون « معجم الشيوخ » سلسلة !! فضلا عن الاخطاء المستعظمة التي وقع فيها .

١٤ــ رجع المحقق في ص٢٣ عند كلامه على تاريخ الاسلام ليتحدث عن أجزائه وحجمه ويناقش البديهيات ناقلا عن المصادر الضعيفة المتأخرة فقال : « تاريخ الاسلام الكبير » « هكذا ورد اسمه وحجمه في شذرات الذهب لابن العماد ، وقال حاجي خليفة ... الخ » ، وفاته ــ حفظه الله ــ ان يرجع الى المجلدات العشرة التي وصلت الينا بخط المؤلف ليعرف منها اسم الكتاب وحجمه ، ولكنه مع أسف لم يطلع على أي من هذه النسخ ولا أدري كيف « حقق » الكتاب ! وسوف نتكلم على العنوان بما فيه الكفاية في الفصل الآتي .

١٥ــ وقال في ص ٢٣ : « وقال بغير ذلك ابن شهبة » . وهذا تعبير غير صحيح لان « شهبة » ليس اسما لرجل حتى يكون له ابنا ، وشهبة اسم موضع ، والصحيح انه : ابن قاضي شهبة .

١٦ــ وقال في الصفحة نفسها : « ويبدو انه يوجد تناقض بين القولين حول نهاية الكتاب » .

وهذا التناقض الذي يدعيه المحقق لا وجود له الا بغلطة في كشف الظنون ، وفي ذهن المحقق ، والا فان المجلد الاخير من تاريخ الاسلام المنتهي بسنة ٧٠٠هـ وقد وصل الينا بخط الذهبي، وقد نص المؤلف فيه على انتهاء الكتاب فقال: «هذا آخر ماقضى الله لي تأليفه من كتاب تاريخ الاسلام والحمد لله على الاتمام والصلاة على نبينا محمد وآله والسلام . فرغت منه في جمادي الآخرة سنة

أربع عشرة وسبع مئة . قاله محمد بن أحمد بن عثمان » . وكان قال قبل ذلك في نهاية الوفيات من هذا المجلد : « وهذا آخر الطبقة السبعين وهنا نقف ونحمد الله عودا على بدء ونسأله أن يصلي على محمد وآله ويسلم » . وهذا المجلد موجود في أيا صوفيا برقم ٣٠١٤ ومنه نسخة مصورة بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية في القاهرة ، بلد المحقق ، والمدينة التي ينشر فيها هذا الكتاب !

١٧ــ وقال في الصفحة نفسها : « وقال الصفدي : وقف الشيخ جمال الدين ابن الزملكاني ... »

والظاهر ان المحقق الفاضل لم يراجع كتاب « الوافي » للصفدي لانه لم يذكر مكان نقله ، فضلا عن انه أورد النص بصورة مخطوءة ، فهذا الشيخ الذي وقف على كتاب الذهبي هو: « كمال الدين » وليس « جمال الدين » وهو مشهور جدا .

١٨ــ وقال في الصفحة ٢٤ : « ذيل تاريخ الاسلام للسخاوي . وقد كتب السخاوي (٩٠٦) ذيلا لتاريخ الذهبي ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ٢٩٧ باسم الذيل الحافل لتاريخ الاسلام لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي المتوفى سنة ستة (كذا) وتسعمائة » .

قلت :

أ ــ لا أدري لم ذكر المحقق ذيل السخاوي مع كتب الذهبي المخطوطة ، ولو أراد الاشارة الى هذا الذيل لاشار له من باب العناية بالكتاب لاغير .

ب ـ نقل المحقق قول حاجي خليفة من غير تدقيق على عادته في النقل العشوائي وفاته أن حاجي خليفة أخطأ في ذكر وفاة السخاوي فجعلها سنة ٩٠٦هـ بدلا من ٩٠٢هـ وهو التاريخ الذي ذكره المؤرخون لوفاته ، بله الموجود على عناوين كتبه المطبوعة !

جـ ـ والطريف ان السخاوي نفسه لم يذكر هذا الكتاب في كتابه الاعلان مع ولعه في ذكر مؤلفاته مما يجعلنا نشك في النص الذي أورده حاجي خليفه .

١٩ـ وقال في ص٢٤ أيضا : « ذكره ابن حجر في الدرر » ، نقلا عن مصطفى جواد . فهل كتاب الدرر لابن حجر مخطوط أو مفقود حتى لا يرجع اليه وتنقل معلوماته بالواسطة ؟!

٢٠ـ وتكلم المحقق على « ملخصات » تاريخ الاسلام ، ص ٢٤ أيضا فنقل قول ابن حجر بان الذهبي لخص كتابه قدر نصفه ثم قال : « ويكاد وجود هذا الكتاب يتلاشى ليتداخل بين كتب الذهبي الاخرى ، وقد يكون عنوانه كما ذكر ابن حجر : ملخص تاريخ الاسلام » .

قلت :

عبارة المحقق غير واضحة ، وهو على أية حال لايعرف عن هذا المختصر شيئا سوى ما نقله عن ابن حجر . وهناك مختصر قديم يعود الى عهد المؤلف يتكون من ستة مجلدات وصلت الينا منها خمسة وفقد الاخير ، لعلها هي هذا الملخص . وهذه النسخة محفوظة في مكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول بالارقام

٢٩١٧/١ ب ـ ٢٩١٧/٥ ب كتبت سنة ٧٣٧هـ . ولكنني أقول هذا بتحفظ فقد تكون لمختصر عاصر الذهبي .

٢١ـ وذكر المحقق مختصر تاريخ الاسلام لابن الملا ناقلا ذلك عن مجلة معهد المخطوطات العربية ١/٣١ ، وان منه نسخة في سبع مجلدات بالمكتبة الاحمدية بحلب تحت رقم ١٢١٩ وانها فريدة في العالم ، ولم يعرفه ، فاقول :

أ ـ الملخص هو أحمد بن محمد بن علي الحصكفي[٨] الحلبي المعروف بابن الملا المتوفى سنة ١٠٠٣هـ وقد انتهى من تلخيص المجلد الاول منه سنة ٩٨٤هـ وقال في نهايته : « ومن وقف على الاصل علم ان المتروك منه بالنسبة الى المذكور أقل قليل » .

ب ـ هذه النسخة ، أعني النسخة الحلبية ، ليست فريدة في العالم ، ففي خزانة كتب الاوقاف ببغداد الاجزاء من الاول الى الثامن منه ، ويبتدىء من السنة الاولى للهجرة وينتهي الموجود بوفيات سنة ٥٦٩هـ ، وقد ذهبت بعض ورقات من المجلد الاول فذهبت مقدمة الكتاب وبعض حوادث السنة الاولى للهجرة حيث يبدأ المجلد بقصة اسلام عبدالله بن سلام ، وأرقام هذه المجلدات هي ٥٨٨٥ ـ ٥٨٩٢ .

٢٢ ـ وقال في الصفحة ٢٦ عند كلامه على مختصرات تاريخ الاسلام : « ويذكر الحاجي خليفة ... مختصر تاريخ الاسلام لعلاءالدين علي بن خلف القزي (كذا) المتوفى سنة ٧٩٢هـ » . ثم اعاد ذكر هذا « القزي » في نهاية الصفحة .

قلت :

هو الغزي ، منسوب الى غزة ، وهو تلميذ الذهبي علاءالدين علي بن خلف بن خليل السعدي الغزي المتوفى سنة ٧٩٢هـ • وكان عند ابن قاضي شهبة الاسدي المتوفى سنة ٨٥١هـ المجلد الاخير من هذا المختصر ، قال في نهاية منتقاه الذي بخطه : « وعندي من مختصر التاريخ المذكور بخط القاضي علاءالدين الغزي مجلد الى آخر سنة سبع مئة ، وهو آخر التاريخ المذكور» • (نسخة حلب ١٢٢٠/٤) •

٢٣ــ ثم قال : « وتوجد بظاهرية دمشق نسخة ملخصة للتاريخ الكبير للذهبي تحمل عنوان : المنتقى من تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام • وقد كتب المرحوم الدكتور يوسف العش على ورقتها الاولى : خط هذه المجلدة بقلم ابن قاضي شهبة على ما ذكره لنا السيد حسام الدين القدسي » •

وهذا من ولع المؤلف في النقل والوصف عن طريق الآخرين حتى وان كان من الاوهام التي لاوجود لها • فنحن لا نعلم عن وجود هذا الكتاب بدار الكتب الظاهرية بدمشق وبين ايدينا فهارس التاريخ المفصلة لها : الفهرس الاول هو الذي وضعه المرحوم الدكتور يوسف العش وطبع سنة ١٩٤٧ والثاني الذي وضعه خالد الريان ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٣ عن التاريخ وملحقاته فضلا عن اقامتنا بهذه الدار مدة ليست بالقصيرة •

والظاهر ان حسام الدين القدسي ــ مدّ الله في عمره ــ قد علق في ذهنه مثل هذا في البلاد الشامية ، وهو موجود في المكتبة

الاحمدية بحلب وليس بدار الكتب الظاهرية في دمشق . وقد وقفت على أقسام منه بخطه في المكتبة الأحمدية برقم ١٢٢٠ ، وفي خزانة كتبي نسخة مصورة منه . والظاهر ان ابن قاضي شهبة اختصر كتاب الذهبي باعتباره أحسن الكتب التي أرخت هذه الفترة ، ثم ذيل عليه وسمى بعد ذلك كتابه المكون من المختصر والذيل : « الأعلام بتاريخ أهل الاسلام » .

٢٤ــ ثم قال المحقق في الصفحة نفسها : « لم يذكر الاستاذ صلاح الدين المنجد كل هذه التلخيصات وأهمل ذكرها عند احصاء مخطوطات الذهبي في مقدمته لسير أعلام النبلاء » .

قلت :

وما علاقة هذه المختصرات بما ذكره الدكتور المنجد عن مخطوطات الذهبي ؟ وهل هذه من مخطوطات الذهبي ؟ أليس هذا تجنيا على الدكتور المنجد لا مبرر له ؟

٢٥ــ وختم كلامه على ملخصات تاريخ الاسلام بقوله : « ومجموع الملخصين اذن أربعة : ابن المنلا = ابن الملا ، وابن الجزري ، وابن خلف القزي (كذا) ، وابن قاضي شهبة ، وغير الذهبي نفسه ، وغير التلخيص المجهول الموجود في المرجانية » .

وهذا كلام غير صحيح ايضا ، فاضافة الى خلطه بين المختصرات فقد فاته :

١ ــ ترتيب السخاوي لتاريخ الاسلام على حروف المعجم ، قال في كتابه الاعلان ، ص٥٨٩ : « وجمعت كتابا حافلا على حروف المعجم أصلته من تاريخ الاسلام للذهبي وزدت عليه

خلقا أغفلهم أو تجددوا بعده ، ولكن لم استوف فيه غرضي الى الآن » • وقد استعمل السخاوي نسخة المؤلف التي بخطه والتي كانت موقوفة على المدرسة المحمودية بالقاهرة فقد وجدنا خط السخاوي على معظم طرر المجلدات الباقية من هذه النسخة ونصه : « فرغ تراجمه ترتيبا محمد ابن السخاوي » •

والظاهر ان هذا الكتاب هو الذي ظنه حاجي خليفة ذيلا على تاريخ الاسلام وسماه : « الذيل الحافل لتاريخ الاسلام » كما جاء في كشف الظنون ١/٢٩٥ ونقله عنه المحقق من غير تحقيق في الصفحة ٢٤ كما مر بنا قبل قليل، وهو من أوهام حاجي خليفة الكثيرة •

٢ ــ ومنها النسخة المحفوظة في مكتبة السلطان احمد الثالث باستانبول والموجود منها خمسة مجلدات تحمل الارقام ١/٢٩١٧ ب ــ ٥/٢٩١٧ ب والتي ذكرنا قبل قليل انها كتبت في حياة المؤلف سنة ٧٣٧هـ •

٣ ــ ومن ذلك ايضا المجلد المحفوظ في مكتبة رضا رامبور بالهند برقم ٣٥٣٣ والذي احتفظ بنسخة مصورة منه في ٦٥٥ صفحة ويشتمل على حوادث السنين ٥٨١ ــ ٧٠٠ هـ مع انتقاء لبعض التراجم المهمة • وقد توهم صديقنا العلامة المرحوم فؤاد سيد حينما ظن أن هذا هو المجلد الاخير من تاريخ الاسلام • (فهرس المخطوطات ج ٢ قسم ٣ ص٦١)•

٢٦ــ ثم وجدنا المحقق يفرد كتاب « العبر في خبر من غبر » ويعده

رأس سلسلة من هذه « السلاسل » التي ابتدعها وقال في ص٢٧ من مقدمته : « ونحن لا نلمس علاقة هذا الكتاب بالتاريخ الكبير، وكل ما نعلمه أنه أتم هذا الكتاب عام ٧١٥هـ وكان قد أتم التاريخ الكبير عام ٧١٤هـ . أما ابن العماد في شذرات الذهب فانه يربط بين كتاب سير اعلام النبلاء وكتاب العبر اذ يقول عند ذكر كتاب العبر : انه مختصر سير النبلاء » . ثم يأخذ المحقق الفاضل في مناقشة هذا الامر الذي بدا مهما في نظره عويصا يحتاج الى حل فقال في الصفحة نفسها : « ويستفاد من هذا النص أن كتاب العبر ومختصره : كتاب الدول الاسلامية نظيران مستمدان من سير اعلام النبلاء ، ولكن لابد من التحفظ في قبول هذا النص : فالواقع ان التناظر غير قائم بين الكتابين لا في اختيار الحوادث والوفيات ولا في لفظ التعبير ، ولذلك قد يداخلنا الشك في اختصار دول الاسلام عن العبر ، فاحدهما يمثل وفرة والآخر يمثل عجفة ... الخ » .

ومن يقرأ هذا يتصور ان المحقق الفاضل قد أتعب نفسه فعلا في المقارنة والمطابقة وخرج بهذه النتائج الباهرة، ولكنه كما يظهر، لم يقلب كتب الذهبي ولم يتصفحها والا لما وقع في كل هذا التخليط ، فاقول :

أ ـ ان كتاب « العبر » لاشك مختصر من تاريخ الاسلام ، وقد كتب الاستاذ الدكتور المنجد ذلك في مقدمة الكتاب باعتبارها من المسلمات التي لا تحتاج الى نقاش ، اما الوهم أو سبق القلم الذي وقع به ابن العماد في الشذرات ، وهو

متأخر توفى سنة ١٠٨٩هـ ، فلا عبرة به . قال تلميذه السبكي : « صنف التاريخ الكبير ... والتاريخ الأوسط المسمى بالعبر وهو حسن جدا ، والصغير المسمى دول الاسلام ، وكتاب النبلاء ... »[٩] وقال سبط ابن حجر في رونق الالفاظ عند ذكر تصانيف الذهبي :« تاريخ الاسلام الكبير في أحد وعشرين مجلدا رأيته بخطه في المحمودية ، ومختصره المسمى بالعبر في خبر من غبر ، ومختصره المسمى بالدول الاسلامية ، ومختصره المسمى بالاشارة واختصر منه : الاعلام بوفيات الاعلام »[١٠] . وقال البغدادي في كتابه تراجم العلماء عند ذكر مؤلفات الذهبي : « وجمع تاريخ الاسلام فأربى فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدثين خصوصا ووصل فيه الى سنة ٧٠٠ واختصر منه مختصرات كثيرة منها : العبر ، وسير النبلاء ، وطبقات الحفاظ ، وطبقات القراء ... »[١١] وذكر مثل هذا ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية[١٢] .

ب ـ كيف تجوز مناقشة كون « العبر » من مختصرات « سير أعلام النبلاء » مع أن سير أعلام النبلاء لا يحوي غير التراجم بينما احتوى العبر على الحوادث والتراجم مثل الاصل المختصر منه ، أعني تاريخ الاسلام . ولو كان المحقق قد تصفح سير أعلام النبلاء لما وقع في مثل هذا ولاكتفى بالقول بان هذا من أوهام ابن العماد .

جـ ـ ان « دول الاسلام » مختصر من « العبر » . اما وجود

بعض زيادات في بعض السنين ، أو بعض ما مذكور فيه مما لم يذكر في العبر فانها مسألة أخـــرى على قلة ما ورد من ذلك ، فان مؤلفا وعالما مثل الذهبي لابد له ان يســتدرك حادثة أو يعيرها أهميـــة أقل أو اكبر في أثناء قيامـــه بالاختصار . ولابد لنا هنا ان نشير الى ان الذهبي قد أضاف الى « تاريخ الاسلام » اضافات كثيرة وغيّر فيـه تغييرات واسعة بعد الانتهاء من تأليفه[١٣] فما بالك بالمختصرات ؟

د ــ ان المادة الاساسية لكتاب « سير أعلام النبلاء » مأخـوذة من كتابه « تاريخ الاسلام » . ومن المعروف ان « تاريـخ الاسلام » كان أضخم مؤلفـــات الذهبي التاريخية وهو عمدتها وأسها ، لذا اختصر منه معظم مؤلفاته التراجميـة وغيرها من كتب التاريخ .

هـ ــ وعلى هذا الاساس كان يتوجب على المحقـق الفاضل أن يضع كتاب « العبر » في « السلسلة » التي أولها « تاريخ الاسلام » اذا كان لابد له أن يفعل ذلك .

و ــ ثم أنني أجد نفسي في غاية الاستعجاب حينما أرى هـذا الكتاب ، وكتاب دول الاسلام وغيره من الكتب المطبوعة قد وضعت مع الكتب الخطية وكأن المحقق لم يتكلم عليها قبل قليل ، علما أنه وضع لكتاب « العبر » عنوانا مستقلا ضمن كتب الذهبي « المخطوطة على شكل سلاسل » على حد تعبيره !

٢٧ــ وقال المحقق الفاضل عند كلامه على كتاب « دول الاســلام » في

الصفحة ٢٩ : « ويغطي الكتاب الفترة من ١١ـ٧٤٤هـ . وكتب السخاوي ذيلا من ٧٤٥ـ٩٠١هـ سماه « الذيل التام على دول الاسلام » .

أقول :

أ ـ وقف الذهبي بدول الاسلام الى سنة ٧٤٠هـ أما السنوات الاربع الاخرى فالظاهر أنها أضيفت فيما بعد .

ب ـ ابتدأ السخاوي ذيله من سنة ٧٤١هـ وليس من سنة ٧٤٥هـ كما توهم المحقق ولا أدري من أين جاء بهذا فقد ذكر ذلك حاجي خليفة وقال انه ابتدأه من سنة ٧٤١ وانتهى به الى سنة ٩٠١هـ[١٤] وقد ذكر السخاوي نفسه كتابه هذا في الاعلان فقال : « ولي على الدول وجيز الكلام »[١٥] .

جـ ـ وصلت الينا نسخة من هذا الذيل وهو « وجيز الكلام في ذيل دول الاسلام » ، وهي نسخة كتبت في حياة المؤلف وعليها خطه في مواضع متعددة تقع في ٢٢٨ ورقة محفوظة في مكتبة كوبرلي باستانبول تحت رقم ١١٨٩ ويظهر منها بداية الكتاب وهي سنة ٧٤١ وتقف عند سنة ٨٩٥هـ والظاهر ان السخاوي زادها فيما بعد حتى وصل بها الى سنة ٩٠١هـ ، قال في مقدمته : « فهذا ذيل تام على دول الاسلام لشيخ الحفاظ والمؤرخين أبي عبدالله الذهبي ، أوحد المعدلين والمجرحين جمعته امتثالا لاشارة ... الخ » وبين فيه انه سار على طريقة الذهبي في الاختصار وذكر الحوادث والوفيات ، وقد ترجم فيه لمؤلف الأصل في وفيات سنة

٧٤٨هـ[١٦] .

٢٨ـ وقال عن كتاب « الاشارة الى وفيات الاعيان والمنتقى من تاريخ الاسلام » في الصفحة ٢٩ أيضا : « هكذا ورد العنوان كاملا مفيدا في فهرس معهد المخطوطات بالجامعة العربية ... وهذا العنوان ينسب الكتاب الى تاريخ الاسلام مباشرة ولكن ابن العماد يعتبره مختصرا صغيرا للعبر أو مختصرا للدول الاسلامية . وعلى هذا الاساس يمكن ان يوضع مع التاريخ الكبير أو مع بعض مختصراته » .

قلت :

كل كلام المحقق هذا لا فائدة منه ، فقد قلنا ان العبر ودول الاسلام والاشارة ، والاعلام كلها مختصرات الواحد أخصر من الآخر ، ولكن المحقق تورط قبل هذا وادعى عدم وجود علاقة بين « تاريخ الاسلام » و « العبر » فكيف يحل هذا الاشكال الذي وقع فيه واسم الكتاب صريح كل الصراحة . ثم أما كان الافضل له أن يراجع الكتاب ويطلع عليه بدلا من أن ينقل عشوائيا من فهرس الجامعة العربية ، والجامعة في القاهرة ، بلده ومسكنه ؟

٢٩ـ وقال عن كتاب « الاعلام بوفيات الاعلام » : «هو مختصر أصغر من السابق لكتاب العبر حسب ما ذكر ابن العماد وتوجد نسخة مصورة منه في جامعة الدول العربية عن نسخة الخالدية بالقدس » .

قلت :

قد تكلمنا على مختصرات العبر ، ونضيف ان من هذا الكتاب نسخة نفيسة جدا بدار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع

برقم (١١٧) في ٣٦ ورقة ، وعلى هذه النسخة طبقة سماع بخط الذهبي مؤرخة في سنة ٧٣٥هـ . ورأينا نسخة أخرى منه في مكتبة رئيس الكتاب باستانبول ضمن مجموع برقم ١١٦٢ يبدأ فيه من الورقة ٥٠ . وذكر أن في صنعاء ببلاد اليمن نسخة منه لم أقف عليها (انظر مجلة معهد احياء المخطوطات ، م١ ج٢ ص١٩٩) .

٣٠ـ أما « السلسلة » الثالثة التي ذكرها المحقق ضمن كتب الذهبي المخطوطة على شكل سلاسل فهو كتاب « سير أعلام النبلاء » وقال : « أدرجنا أسم هذا الكتاب في قائمة كتب الذهبي المطبوعة، ومن الطبيعي أن لايدرج هذا الكتاب هنا في قائمة المخطوطات ، غير ان الاشارات اليه جاءت كثيرة في هذا الباب فاحتجنا الى التعريف به هنا » !!

هكذا يبرر المحقق الفاضل ذكر هذا الكتاب هنا ، ولم تمض اكثر من سبع صحائف على ذكره ضمن المطبوعات ومع ذلك أقول:

أ ـ لا مبرر لذكر هذا الكتاب ضمن « السلاسل » التي افترضها المحقق لانه كتاب واحد فقط !

ب ـ ان الكتاب لم يطبع كله ، ولم يزل جلّه مخطوطا وقد اشرنا الى ذلك في غير هذا الموضع .

٣١ـ أما « السلسلة » المزعومة الرابعة التي أوردها المحقق فقد ابتدأ فيها بكتاب « تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال » وذكر معه : الكاشف في معرفة أسماء الرجال ، والمجرد من تهذيب الكمال . وقد نقل المحقق قول ابن العماد في الشذرات ان الذهبي اختصر من التذهيب مجلدا سماه الكاشف وقبل ذلك منه ص٣٠

ثم قال : « ويضيف السيوطي الى « التذهيب » و « الكاشف » كتابا ثالثا هو « مختصر التذهيب » وآخر رابعا هو « المجرد » وذكر انه توجد مخطوطة مصورة من التذهيب ، ومخطوطة مصورة من الكاشف ، ومخطوطتان مصورتان من المجرد .

أقول :

ان الكلام المحقق هذا مضطرب كل الاضطراب بسبب نقله العشوائي وعدم اطلاعه على هذه الكتب بالرغم من اشارته الى مخطوطاتها ، وهذا أمر في غاية الخطورة لما يسببه عند القارىء من افتراض اطلاع المحقق على هذه الكتب ، وهذه ملاحظاتنا على هذا الموضوع :

أ ـ سبق ان قلنا ان كتاب « التذهيب » لم يطبع بعد ولا علاقة لخلاصة الخزرجي المطبوعة به .

ب ـ توجد من « التذهيب » نسخ متعددة ، منها نسخة في مكتبة أحمد الثالث في استانبول تحمل الارقام ٢٨٤٩/٢ ، ٢٨٤٩/٣ ، ٢٨٤٩/٤ كتبت في حياة المؤلف سنة ٧٤٥هـ وعلى هامشها تصحيحات بخطه ، ووقفت على نسخة أخرى منه بدار الكتب المصرية بالقاهرة كتبت سنة ٧٣١هـ فيها المجلدات من الاول الى الثالث التي تنتهي الى حرف العين ، وهي تحمل الرقم ٦٢ مصطلح الحديث . ووقفنا في الدار المذكورة على بعض اجزاء متفرقة منه تحمل الرقم ٨٨ مصطلح الحديث . وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق المجلدان الثالث والرابع من نسخة تتكون من أربعة مجلدات كتبت سنة ٧٦٢هـ

وهي برقم ٢٨٢ ، ٣٨٣ تاريخ ، ورأينا سنة ١٩٧٥م المجلد الاول منه في مكتبة أسعد افندي باستانبول رقم ٢٩٢ كما رأينا مجلدا منه ضمن كتب الطب في المكتبة المذكورة لم يكتب اسم مؤلفه وهو برقم ٢٤٦١ اضافة الى نسخ أخرى ذكرها بروكلمان في كتابه .

جـ ـ لقد اشرنا سابقا الى ان كتاب«الكاشف» مطبوع في القاهرة في ثلاثة مجلدات منذ سنة ١٩٧٢ .

د ـ توهم ابن العماد وبعض المؤرخين الاخرين ، وتابعهم المحقق من غير تحقيق ، حينما ذكروا ان كتاب « الكاشف » مختصر من التذهيب ، ذلك لان كتاب التذهيب كان يشمل رجال الكتب الستة ورجال تواليف اصحاب الكتب الستة بينما اقتصر « الكاشف » على رجال الكتب الستة فقط . يضاف الى ذلك ان الذهبي قد صرح في مقدمة « الكاشف » انه اختصره من الاصل ، أعني من تهذيب الكمال للمزي ، قال في مقدمته : « هذا مختصر نافع في رجال الكتب الستة الصحيحين والسنن الاربعة مقتضب من تهذيب الكمال لشيخنا الحافظ ابي الحجاج المزي ، اقتصرت فيه على ذكر من له رواية في الكتب الستة ، دون باقي تلك التواليف التي في التهذيب ودون من ذكر للتمييز أو كرر للتنبيه » . وجاء في آخر نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٩٣٥ تاريخ ، وهي بخط الذهبي ، انه فرغ من اختصاره بعد العصر من يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٢٠هـ .

وهذه النسخة كتبها الذهبي بخطه سنة ٧٢٩هـ كما جاء في آخرها .

هـ ـ أما « المجرد من تهذيب الكمال » فقد قال المحقق عنه في الصفحة ٣١ : « والمفروض انه من مختصرات تهذيب الكمال ... » ويذكر السيوطي هذا الكتاب باسم المجرد في اسماء الكتب الستة ، ويقول مصطفى جواد : ولعل المجرد هو اسماء الرجال الذي ذكره التاج السبكي » .

ومثل هذه الاقوال لاقيمة لها حينما يكون الكتاب موجودا فما كان أحراه بتصفحه والنظر فيه وقطع دابر الشك باليقين وفي جامعة الدول العربية نسختان مصورتان منه فلا تظل بعد ذلك أية قيمة لنقوله عن السيوطي ومصطفى جواد أو غيرهما . ثم نقول بعد ذلك :

١ ـ ان اسم الكتاب يدل عليه ، فلا حاجة بعد ذلك من قوله : المفروض أنه ...

٢ ـ ان الاسم الذي وصفه به السيوطي صحيح لان الكتاب في رجال الكتب الستة فقط ولكنه لم يرتبه على ترتيب « الكاشف » فالكاشف مرتب على حروف المعجم ، وهذا « المجرد » مرتب على الطبقات ، رتبه على عشر طبقات اولا ثم رتب رجال كل طبقة على حروف المعجم ثانيا .

٣ ـ توهم استاذنا العلامة الدكتور مصطفى جواد بقوله : « ولعل المجرد هو اسماء الرجال الذي ذكره التاج

السبكي » فان السبكي ذكره تصريحا فقال : المجرد في أسماء رجال الكتب الستة (الطبقات ٩/١٠٥) ونقل المحقق هذا القول من غير تدقيق وكان في الاقل يمكنه الرجوع الى طبقات السبكي وهي منتشرة غاية الانتشار .

٤ ـ يضاف الى النسختين اللتين اشار اليهما المحقق نسخة أخرى عثرت عليها في مكتبة الشهيد علي باشا باستانبول تحمل الرقم ٥٢٣ وهي في ١٠٢ ورقة ينقص من أولها : بعض الاوراق ، وأول ما فيها أبو معقل الانصاري الاسدي ، وآخرها : آخر طبقة البخاري وباقي شيوخ الامة . وقد كتبت هذه النسخة سنة ٧١٧هـ وفي حواشيها تعليقات واستدراكات كثيرة ، وقد قوبلت على نسخة الامام الذهبي في التاريخ المذكور . وصور معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية هذه النسخة وضمها الى خزانته برقم ٥٧٦ تاريخ لكنهم لم يعرفوا اسم الكتاب فذكروا انه في « اسماء رجال تهذيب الكمال للمزي » وهو تعبير خاطىء لان التهذيب يشمل رجال الكتب الستةوغيرها من تواليفهم ، ولا عرفوا مؤلفه لذهاب الورقات الاولى منه (الفهرس ج٢ ص١٠) .

و ـ أما الكتاب الآخر من هذه « السلسلة » والذي لم يعرف عند المحقق شيئا البتة فهو « المقتضب من تهذيب الكمال » .

قال شمس الدين السخاوي في الاعلان ، ص٦٠١ :«وللذهبي أسماء من أخرج أصحاب الكتب الستة في تواليفهم سواها ممن لم يذكرهم في الكاشف » وقال البغدادي في هدية العارفين ٢/١٥٤ : « المقتضب من تهذيب الكمال للمزي » والذي يفهم من نص السخاوي ان الذهبي اختصر كتابا آخر من تهذيب الكمال للمزي خاصا بأسماء رجال مؤلفات اصحاب الكتب الستة الاخرى . ومعنى ذلك أيضا أنه لم يتناول رجال الكتب الستة ، لذلك فهو لا علاقة له بكتابي « الكاشف » و « المجرد » اللذين مرّ ذكرهما .

ز ـ وبعد كل هذا الذي قدمنا يحق لنا أن نتسائل : أين هذه « السلسلة » التي ادعاها المحقق واخترعها ؟!

٣٢ـ وأما « السلسلة » الخامسة من كتب الذهبي المخطوطة فقد بدأها المحقق بكتاب « المغني في الضعفاء والمتروكين » و « ذيل الضعفاء والمتروكين » و « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » . و « المقتضب من الميزان » لمؤلف مجهول .

والحقيقة الواضحة أن المحقق لايدري ماذا يكتب فقد ذكر « المغني » وذكرنا سابقا انه من الكتب المطبوعة ، ثم ذكر «الميزان» وأخذ يناقش عنوانه مع انه مطبوع غير مرة ، ثم اتحفنا بالمقتضب الذي لا علاقة للذهبي به ، فضلا عن انه من الكتب التافهة . وقد تكلمنا على ذلك عند كلامنا على « المشاركة » التي ابتدعها المحقق وخرج من كل هذا الكلام بقوله : « ومعنى ذلك ان الذهبي اختصر الميزان مرتين : مرة في المغني ، ومرة في « المختصر » الذي

ذكره السيوطي ثم جاء مجهول فاختصر الميزان اختصار اقتضاب وسماه : « المقتضب » . وهذا من الاستنتاجات العجيبة التي لاصحة لها البتة ، فكيف يقال انه اختصر الميزان ، وقد ألف « المغني » قبله ؟!.

٣٣ـ ومن أطرف « سلاسل » المحقق التي أوردها لنا « سلسلة » معجم الشيوخ ، وقد ابتدأ كلامه بتخطئة المنجد لانه ذكر « معجم الشيوخ » الذي بدار الكتب المصرية برقم آخر وقال في ص٣٣ : « والنتيجة الثابتة بعد البحث هي ان هذا المعجم ليس المعجم المختص بالمحدثين بل هو معجم كبير او أوسط أو صغير ، والراجح مع ذلك أنه المعجم الكبير استنتاجا من سياق الكلام في ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ... الخ » .

ومن يقرأ هذا الكلام يتصور أن المعجم كان مفقودا فعثر عليه المحقق وان أحدا لم يعرف أنه « المعجم الكبير » . والحقيقة ان هذه من البديهيات فان الجميع يعلم ان هذا هو المعجم الكبير، وليد لنا المحقق الفاضل عن باحث واحد ، من العلماء أو الجهال ، قال ان هذا هو المعجم المختص بالمحدثين حتى يقول هذه المقالة .

٣٤ـ ثم قال المحقق بعد ذلك في الصفحة نفسها : « وليس امرا غريبا ان يكتب الذهبي لنفسه أربعة معاجم فانه كان يحب هذا النوع من الانتاج وقد خرّج الذهبي معجما لاحد معاصريه هو أبو القاسم عمر بن (فراغ) حبيب الدمشقي » .

أقول :

أ ـ لم يعرف المحقق بوجود نسخة من « المعجم الصغير » ، ففي

دار الكتب الظاهرية بدمشق نسخة منه ضمن مجموع برقم ١٢ ويسمى هذا المعجم أيضا : « المعجم اللطيف » .

ب ـ ان المعجم المختص ليس معجما لشيوخ الذهبي حسب ، بل هو مختص بمحدثي عصره ولذلك سماه « المعجم المختص بمحدثي العصر » وقد ذكره الذهبي في آخر تذكرة الحفاظ ، فقال : « وقد كنت الفت معجما لي يختص بمن طلب هذا الشأن من شيوخي ورفاقي ، فاستوعبت من له أدنى عمل وبينت احوالهم (تذكرة ٤/١٥٠) ، وقال ابن حجر في الدرر ٣/٤٢٦ـ٤٢٧ « فذكر فيه غالب الطلبة من أهل ذلك العصر وعاش الكثير منهم بعده الى نحو أربعين سنة » .

جـ ـ من منتقى المعجم المختص لابن قاضي شهبة الاسدي نسخة في مكتبة الاوقاف العراقية ضمن مجموع يحمل الرقم ٢٨٤١ وهي بخط المنتقى ابن قاضي شهبة . وهو آخر المجلد الاول.

د ـ لم يعرف المحقق ابن حبيب هذا بدليل تخليطه في اسمه وبقاء الفراغ بعد اسم « عمر » وهو بدرالدين الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب الدمشقي الاصل الحلبي المولود سنة ٧١٠هـ والمتوفى سنة ٧٧٩هـ (ابن حجر : الدرر ٢/١١٣ـ١١٥) وقد ذكره سبط ابن حجر (رونق الالفاظ، الورقة ١٨١) وقد رآه السخاوي بخط الذهبي (الاعلان ٦٠٦) .

هـ ـ لقد خرّج الذهبي أكثر من عشرة معجمات ومشيخات فيصبح بعد ذلك ذكر معجم ابن حبيب لا أهمية له الى

جانبها (راجع كتابنا : الذهبي ٢٦٤ـ٢٦٨) .

٣٥ـ وقال المحقق عند كلامه على معجم شيوخ الذهبي في الصفحة ٣٤ من مقدمته : « وتوجد صورة كتاب بجامعة الدول العربية يحمل اسم «معجم الذهبي » دون ان يحدد أهو الاوسط أم الاصغر... وقد انتهينا الى أن صورة الجامعة العربية منقولة عن مخطوطة دار الكتب ٦٥ مصطلح وهي المخطوطة التي ذكرناها آنفا » . وأحال المحقق على فهرس الجامعة ح٢ قسم ٣ ص ٢٨٣ .

وحينما يقرأ القارىء قوله : « وقد انتهينا الى ... الخ » يتصور ان الرجل قد اكتشف شيئا بعد بحث وتمحيص في حين أنه لم يفعل شيئا وكل كلامه هذا من باب التدليس ، ذلك أننا حينما نفتح الصفحة التي أشار اليها المحقق من فهرس الجامعة نجد المفهرس الفاضل المرحوم العالم فؤاد سيد قد ذكر لنا ان المخطوطة مصورة عن دار الكتب المصرية رقم ٦٥ مصطلح ، وقد وضعها واضحة في سطر مستقل ، فتأمل ذلك جيدا وتدبره !!

ثم أقول : ليست نسخة دار الكتب هي النسخة الوحيدة من معجم شيوخ الذهبي الكبير ، ففي مكتبة أحمد الثالث باستانبول نسخة منه تحمل الرقم ٤٦٢ وهي في ٢٢٧ ورقة وقد نسخت عن نسخة المؤلف التي بخطه .

٣٦ـ وقد اختتم المحقق الفاضل كلامه على « سلاسله » بقوله : « وقد وجدنا أن الافضل هو أن نعتبر كل سلسلة بكاملها كتابا واحدا » وهكذا اعتبر المحقق كتاب العبر ، والدول الاسلامية ، والاشارة ، والاعلام كتابا واحدا ! واعتبر المغني ، وديوان الضعفاء ، والميزان

ومختصر الميزان كتابا واحدا وهلم جرا ، فتأمل !

وتناول المحقق بعد هذه « السلاسل » كتب الذهبي المفردة المخطوطة وجاء فيها بأعاجيب لاتقل غرابة عن السلاسل وها نحن ذاكروها :

٣٧ـ كان أول كتاب ذكره من كتبه المفردة « المخطوطة » هو كتاب « تجريد اسماء الصحابة » (ص٣٤) . وهذا الكتاب هو ثاني كتاب كان ذكره المؤلف من كتب الذهبي المطبوعة (ص ٢٠) وأظن هذا التعليق كاف لتبيان دقة المحقق ومعرفته !!

٣٨ـ وقال عن الكتاب الثاني ، ص٣٤ : « معرفة التابعين ـ ذكرت مجلة معهد المخطوطات العربية جـ٢ ص ٢٥٥ هذا الكتاب ضمن مقتنيات هذا المعهد ، ونقلت ان الكتاب مكتوب بخط الذهبي . والغريب ان هذا الكتاب لم يرد ذكره ضمن مؤلفات الذهبي في أي مكان الا هنا بسجلة معهد المخطوطات .

أقـول :

أ ـ العنوان الكامل هو : « معـرفة التابعين من الثقات لابن حبان » وهو ابو حاتم محمد بن حبان البستي التميمي المتوفى سنة ٣٥٤ ، وكتابه « الثقات » من ابرز الكتب المؤلفة في هذا الفن .

ب ـ قام الذهبي باتقاء التابعين من كتاب « الثقات » وقد وصلت الينا نسخة كاملة بخط المؤلف وهي محفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا برقم ١٦٨٩ وهي في ٤٩ ورقة ، فلا حاجة بعد ذلك ان يقول المحقق: والغريب ان هذا الكتاب..

٣٩ـ أما الكتاب الثالث من كتب الذهبي المخطوطة الذي أورده لنا المحقق في الصفحة ٣٥ فهو : طبقات الحفاظ ! ونقل ذلك عن فهرس الخ » .

الجامعة العربية وقال : « وقد يسمى الكتاب باسماء اخرى مقاربة مشابهة مثل تذكرة الحفاظ وطبقات الحفاظ !! » .

ومما يثير الاستعجاب ان كتاب « تذكرة الحفاظ » كان من بين « سلاسل » المحقق التي ابتدعها (ص ١٧) ثم كان من بين الكتب المطبوعة التي ذكرها للذهبي (ص ٢١) فهل ظن الكتاب كتابا آخر؟ والمصيبة في كلا الظنين عظيمة !

٤٠ـ وأما الكتاب الرابع من كتب الذهبي المخطوطة التي أوردها المحقق فهو كتاب « طبقات القراء » (ص ٣٥) .

وقد ذكرنا سابقا ان هذا الكتاب مطبوع منذ سنة ١٩٦٩ في القاهرة نفسها . فضلا عن أنه لم يذكر له نسخة واحدة مع توفر نسخ عديدة منه في خزائن الكتب العالمية .

٤١ـ ثم قال في الكتاب الخامس (ص ٣٥ ايضا) : « المعين في كتاب المحدثين . كتاب لم يرد ذكره الا في فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية منقولا عن فيض الله ١٥٢٣ وعن هذا الفهرس نقلنا العنوان » .

أقول :

أ ـ اسم الكتاب الصحيح هو : « المعين في طبقات المحدثين » وليس في « كتاب المحدثين » وذلك لأن مؤلفه رتبه على الطبقات وابتدأ اولا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم

الخلفاء الراشدين وبقية العشرة المبشرة بالجنة ، ثم باقي أعلام الصحابة مرتبين على حروف المعجم . وذكر بعد ذلك أكابر التابعين وجعلهم طبقة ، ثم ذكر الطبقة الثانية منهم ، والثالثة وهي طبقة الزهري ... الخ .

ب ـ ان الرقم الصحيح للمخطوط في مكتبة فيض الله هو ١٥٢٨ . وفي خزانة كتبي نسخة مصورة منه .

٤٢ـ وذكر الكتاب السابع وهو : « أهل المئة فصاعدا » .

وقد ذكرنا سابقا اننا قد نشرنا هذا الكتاب سنة ١٩٧٣ .

٤٣ـ وذكر الكتاب التاسع وهو : « المقدمة ذات النقاط في الالقاب » ولم يذكر له نسخة مع ان منه نسخة بدار الكتب المصرية نفسها بخط الحافظ جلال الدين السيوطي برقم ٤٤٢٣ج .

٤٤ـ وقال في الكتاب العاشر والاخير : « المنتقى من الكنى للحاكم » هكذا ذكره مصطفى جواد والمنجد وقد ذكره فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية باسم « المقتنى في سرد الكنى »... وصورة المخطوطة منقولة عن فيض الله ١٥٣١ » .

أقول : سماه الصفدي في نكت الهميان : «المقتنى في الكنى» (ص ٢٤٣) وفي الوافي : « المقتنى من الكنى » (٢/١٦٤) وسماه سبط ابن حجر : « المقتنى في سرد الكنى » (رونق الالفاظ ، الورقة ١٨٠) وقد اختصره الذهبي من كتاب « الكنى » لأبي أحمد الحاكم المتوفى سنة ٣٧٨ وقد فرغ من اختصاره سنة ٧٣٧هـ ومن الكتاب نسخ متعددة ، وقد رأيت منه اضافة الى نسخة فيض الله نسخة في المكتبة الاحمدية بحلب برقم ٣٢٨ وأخرى في خزانة

كتب وزارة الاوقاف العراقية برقم ١/٩٧٢ مجاميع .

٤٥ـ ثم قال حفظه الله : « هذه هي كتب الذهبي المخطوطة سواء ما كان منها على شكل سلاسل وما كان مفردا » (ص ٣٦) .

أقول : وقد فاته :

١ ـ تسمية رجال صحيح مسلم الذين انفرد بهم عن البخاري .
منه نسخة في مكتبة لاله لي باستانبول تحمل الرقم ٢٠٨٩ كتبت سنة ٧٣١هـ .

٢ ـ ذكر من أشتهر بكنيته من الاعيان. وهو في كنى المشهورين،
منه نسخة في مكتبة جستر بتي بدبلن ضمن مجموع برقم ٣٤٥٨ وهو في ١٨ ورقة وقد نقلت هذه النسخة عن نسخة المؤلف سنة ٨١٣هـ كما جاء في آخرها .

٣ ـ ذكر من يؤتسن قوله في الجرح والتعديل .
وهي رسالة وقفنا على نسخة منها في خزانة كتب آيا صوفيا باستانبول برقم ٢٩٥٣ . وقد نقل شمس الدين السخاوي قسما منها في الاعلان ص ٧٢١ ـ ٧٢٣ من غير اشارة لها .

٤ ـ الرد على ابن القطان .
منه نسخة مختصرة في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم ٧٠ وهي في ١٢ ورقة .

٥ ـ المجرد في أسماء رجال كتب سنن الامام أبي عبدالله بن ماجة سوى من أخرج له منهم في أحد الصحيحين .
وقفنا على نسخة منه بخط المؤلف محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٥٣١ حديث وهي في عشرين ورقة .

وقد جعلهم الذهبي في ثماني طبقات ورمز فوق الاسماء بالحمرة للكتب الستة برموزهم السائرة .

٦ ــ المرتجل في الكنى .

ذكر بروكلمان نسخة منه في خزانة « لي » الانكليزي (تاريخ الأدب العربي ٢/٥٩ بالالمانية) .

٧ ــ مختصر انباه الرواة على أنباه النحاة لابن القفطي .

ذكر بروكلمان نسخة منه في ليدن لم أقف عليها (الملحق ١/٣٩٧ بالالمانية) .

٨ ــ اضافة الى الكتب التي ذكرناها عند كلامنا على « سلاسل » المحقق ومن هنا يظهر ان المحقق ذكر عشرة كتب مخطوطة منها أربعة مطبوعة نقلها عن المنجد .

٤٦ــ ثم اختتم المحقق كتابته عن كتب الذهبي الخطية بقوله (ص ٣٦) : « ولا مفر أمامنا من أن نحصل على هذه المخطوطات ، أو على اكثر ما نستطيع منها ، وان نراها رأي العين ، لكي لا نقع فيما وقع فيه الاستاذ صلاح الدين المنجد من الوهم فانه تصور مثلا أن ترجمة الحلاج وان ترجمة الشيخ رسلان كتابان من كتب الذهبي ، ودعانا ذلك الى أن نتصور أن الذهبي كتب كتبا مطولة في التراجم . وتصورنا أيضا أن الذهبي ارتاد مجالا أوسع من مجال الوفيات» ثم قال : « كما ننبه الى أن تصحيح الاوهام يحتاج الى يقظة وجهد ووقت طويل وبعض المال وبعض المتابعة » .

هكذا ختم المحقق كلامه على المخطوطات منبها على الاوهام التي وقع فيها غيره وكأنه أشبع الموضوع بحثا ودقة ، ونحن نشكره

على يقظته وجهده والوقت الطويل الذي بذله والمال الجزيل الذي صرفه والمتابعة الدقيقة التي ولدت لنا هذه الاخطاء الجمة والاوهام العظيمة والخلط العجيب بحيث لا نجد ترابطا حتى بين صفحة وأخرى من مقدمته • وحتى في هذه الخاتمة وقع المحقق بخطأ مستعظم حينما ادعى أن الذهبي لم يرتد مجال « الكتب المطولة في التراجم » وهي السير والتراجم المفردة كما يستدل من كلامه في الوقت الذي نجد في الصفحة المقابلة لهذا الكلام من مقدمته ، ص٣٧ والصفحة التي تليها ذكرا لعدد من هذه السير والتراجم المفردة فقد ذكر لنا من تأليف الذهبي الضائعة : مناقب الصديق ، ونعم السمر في سيرة عمر ، والتبيان في مناقب عثمان ، وفتح المطالب في أخبار علي بن أبي طالب ، وأخبار أبي مسلم الخراساني •

ثم من قال له أن الذهبي لم يؤلف كتابا في سيرة الحلاج ؟• لقد ذكر الذهبي نفسه انه أفرد سيرة الحلاج بمصنف (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥ حلب ١٢٢٠/١) وذكر ذلك ابن تغري بردى في المنهل الصافي (الورقة ٧٠) وسبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨٠) وابن العماد في الشذرات ١٥٦/٦ وهو المصدر المعتمد عند المحقق ! •

والحق ان الذهبي ألف مجموعة من السير للرجال البارزين في تاريخ الاسلام مثل الخلفاء الراشدين والائمة الاربعة وغيرهم• ولكن استلال بعض النساخ لتراجم معينة من تاريخ الاسلام وسير اعلام النبلاء والعبر وغيرها قد أدى الى ظهور بعض الصعوبات في فرز السير والتراجم المفردة اصلا عن تلك التراجم

المستلة والتي لم يقصد الذهبي أن تكون كتبا مستقلة . وقد ذكر الذهبي لكثير من هذه السير ونص على افرادها في كتبه الاخرى كما ذكر مؤلفو التراجم عددا منها . يضاف الى ذلك وجود عناوين مستقلة لبعض هذه السير كما مرّ بنا في سير الخلفاء الراشدين . والحقيقة ان جهل المحقق ومعاونيه قد أدى بهم الى هذه المقالة ، وانا ذاكر فيما يأتي لعدد من هذه السير والتراجم التي لم يعرفها المحقق الفاضل وها هي ذي :

١ ــ أخبار أم المؤمنين عائشة ــ رضي الله عنها ــ :

قال الذهبي في ترجمتها من تذكرة الحفاظ ١/٢٩ : « وقد أفردت أخبارها في مصنف » .

٢ ــ ترجمة ابن عقدة الكوفي :

ذكر الذهبي في التذكرة أنه أفرد ترجمته في جزء ٣/٨٤١ .

٣ ــ ترجمة أبي يوسف القاضي :

ذكرها الذهبي في تاريخ الاسلام (الورقة ١٦٩ من نسخة أيا صوفيا ٣٠٠٦) وتذكرة الحفاظ ١/٢٩٣ كما ذكرها السخاوي في الجواهر والدرر ص٧٣١ .

٤ ــ ترجمة أحمد بن حنبل :

ذكرها الصفدي في الوافي ٢/١٦٤ ونكت الهميان ، ص٢٤٣ .

٥ ــ ترجمة الخضر :

ذكرها سبط ابن حجر في رونق الالفاظ ، الورقة ١٨٠ .

٦ ــ ترجمة السلفي :

ذكرها سبط ابن حجر في رونق الالفاظ ، الورقة ١٨٠

والسخاوي في الجواهر والدرر ص٧٣١ .

٧ ــ ترجمة الشافعي :

ذكرها الصفدي في الوافي ٢/١٦٤ ونكت الهميان ٢٤٣ .

٨ ــ ترجمة الشيخ الموفق :

وهو موفق الدين عبدالله بن أحمد ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ . ذكرها السخاوي في الجواهر والدرر ص ٧٣٢ .

٩ ــ ترجمة مالك بن أنس :

قال الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ : « قد كنت افردت ترجمة مالك في جزء وطولتها في تاريخي الكبير » ١/٢١٢ وذكر السخاوي في الجواهر والدرر أن الذهبي من بين الذين ألفوا في مناقب مالك ، ص ٧٣٢ وذكر الذهبي في تاريخ الاسلام انها في جزء ضخم (الورقة ٨ من نسخة أيا صوفيا ٣٠٠٦) .

١٠ــ ترجمة محمد بن الحسن الشيباني :

ذكر الذهبي في ترجمة أبي يوسف من التذكرة انه أفرده في جزء (١/٢٩٣) وقال في ترجمته من تاريخ الاسلام : « وقد افردت له ترجمة حسنة في جزء » (الورقة ١٢٩ من نسخة أيا صوفيا ٣٠٠٦) وذكرها السخاوي في الجواهر والدرر ، ص ٧٣١ .

١١ــ سيرة الحلاج . (قد مرّ ذكرها) .

١٢ــ سيرة أبي القاسم الطبراني :

وهو سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي المحدث المشهور المتوفى سنة ٣٦٠هـ . ذكرها الذهبي في مقدمة « الاربعين البلدية » التي خرجها من كتاب « المعجم الصغير » لأبي القاسم الطبراني ، فقال : « وقد افردت سيرته وذكرت أنه مات في سنة ستين وثلاث مئة ... الخ » (الورقة ١ من نسخة الخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية رقم ٤٣٨ حديث) .

١٣ـ سيرة سعيد بن المسيب :

وهو أحد الفقهاء السبعة المشهورين ، توفي سنة ٩٤هـ . ذكرها الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ ١/٥٦ .

١٤ـ سيرة عمر بن عبدالعزيز :

ذكرها السخاوي في الجواهر والدرر ، ص٧٣١ والاعلان بالتوبيخ ، ص٥٤٨ .

١٥ـ قض نهارك باخبار ابن المبارك :

وهو في ترجمة المحدث عبدالله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ . ذكره الصفدي في الوافي ٢/١٦٤ ونكت الهميان، ص٢٤٣ وابن شاكر في عيون التواريخ (الورقة ٨٧) والبغدادي في هدية العارفين ٢/١٥٤ .

١٦ـ مناقب البخاري :

قال الذهبي في ترجمته من تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٦ : « قد أفردت مناقب هذا الامام في جزء ضخم فيها العجب » . وقال في تاريخ الاسلام بعد أن ترجم له ترجمة حافلة :

« ومناقب أبي عبدالله ـ رضي الله عنه ـ كثيرة وقد أفردتها في مصنف وفيها زيادات كثيرة هنـاك » (الورقة ٢٦٩ من نسخة أحمـــد الثالث ٢٩١٧/٧) • وذكرها السخاوي في الجواهر والدرر ، ص٧٣٥ • وفي خزانة كتب طلعت الملحقة بدار الكتب المصرية نسخة منه ضمن مجموع برقم ٩٦٥ •

١٧ـ نفض الجعبة في أخبار شعبة :

ذكره الصفدي في الوافي ٢/١٦٤ ونكت الهميان ، ص٢٤٣ وابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ ، الورقة ٨٧ وهو في ترجمة أبي بسطام شعبة بن الحجاج العتكي المحدث المشهور المتوفى سنة ١٦٠هـ •

١٨ـ سيرة لنفسه :

بل ألف الذهبي سيرة لنفسه ، ذكرها السخاوي في الجواهر والدرر ، ص ٧٤٦ •

ثالثا : كتب الذهبي الضائعة :

٤٧ـ تناول المحقق في الصفحتين ٣٧ ، ٣٨ كتب الذهبي الضائعة واستهل قائمته بقوله : « حددنا الكتب الضائعة على أساس المقـــارنة بين القوائم التي تذكر تصانيف الذهبي • وأكملها القائمة الواردة في شذرات الذهب لابن العماد نقلا عن المنهـــل الصافي لابن تغرى بردى » •

أقول :

أ ـ لم يطلع المحقق على « القوائم » التي ذكرت تصانيف الذهبي لأنه اعتمد شذرات الذهب لابن العماد فقط ، وهذا واضح

من قائمته .

ب ـ لا أدري لماذا نقل عن « المنهل الصافي » بالواسطة ، علما ان من كتاب « المنهل » نسخة بالقاهرة .

جـ ـ القائمة التي ذكرها ابن العماد في الشذرات نقلا عن « المنهل الصافي » ليست أكمل القوائم . ويصح القول ان ما ذكره سبط ابن حجر في كتابه « رونق الالفاظ » يعد من اكثر المترجمين للذهبي ذكرا لمؤلفاته فقد ذكر له (١٠٢) كتابا ورسالة وتخريجا .

٤٨ـ لم يرتب المحقق قائمته على أساس معيّن ، فكان يمكنه مثلا ان يرتبها على حروف المعجم ، او حسب موضوعاتها ، أو استنادا الى صورتها التاريخية .

٤٩ـ ذكر : « كتاب هالة البدر في أهل بدر » :

والاصح : ... في عدد أهل بدر . هكذا ذكره تلميذه صلاح الدين الصفدي في الوافي ٢/١٦٤ ونكت الهميان ٢٤٣ وابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ ، الورقة ٨٧ ، وسبط ابن حجر في رونق الالفاظ ، الورقة ١٨٠ . وفي دار الكتب الظاهرية بدمشق قطعة فيها هذا الموضوع ، من المرجح انها هذا الكتاب ، وهي ضمن مجموع برقم ٤٧ تقع بين الورقتين ١٣٥ـ١٤٨ ، والورقتين ١٦٦ ـ ١٧٣ ، وقد ذهب أول الكتاب . والنسخة مغلوطة الترتيب محترقة من طرفها الاسفل . ورجح المرحوم الاستاذ الدكتور يوسف العش انها لعلم الدين البرزالي المتوفى سنة ٧٣٩هـ (فهرس المخطوطات ٤٦ ـ ٤٧) . ولما اطلعنا عليها ، رجحنا أنها للذهبي ،

فقد نقل في الورقة ١٦٧ عن شيخه المزي ، فضلا عن ان مترجمي البرزالي لم يذكروا له مثل هذا الكتاب .

٥٠ـ وذكر : « مختصر تاريخ أبي سعد بن السمعاني » (ذيلا على الطبري) . التصحيح :

أ ـ لايوجد لأبي سعد السمعاني كتاب ذيّل به على الطبري .

ب ـ لا أدري لماذا قال : ذيلا ، بالنصب .

جـ ـ المقصود بهذا المختصر هو « ذيل تاريخ بغداد » الذي ذيّل به أبو سعد ابن السمعاني على الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ وقد ذكره المحقق مرة أخرى باعتباره كتابا ثانيا في الرقم ١٩ من كتب الذهبي الضائعة .

٥١ـ وقال في الرقم ٦ : « مختصر الانساب للسمعاني » ، وكان قال في الرقم ٥ « ابن السمعاني » ومثل ذلك في رقم ١٩ . وكان من الاجدر ان يستعمل صيغة واحدة فيقول : السمعاني ، أو ابن السمعاني ، وكلا الاستعمالين صحيح ، الا ان ورودها بهذا الشكل يؤدي الى اللبس .

٥٢ـ وذكر في الرقم ٧ : « مختصر تاريخ ابن خلكان » والأصح : مختصر وفيات الاعيان لابن خلكان .

٥٣ـ وذكر في الرقم ٨ : « مختصر تاريخ أبي شامة » . والأصح : مختصر الروضتين وذيله لأبي شامة .

٥٤ـ وذكر في الرقم ٩ : « مختصر تاريخ اليونيني ـ ذيلا على مرآة الزمان لابن الجوزي » . أقول :

أ ـ الاسم الصحيح لتاريخ اليونيني هو : ذيل مرآة الزمان .

ب ـ الاصح أن يقول : الذي هو ذيل ، أو : الذي ذيّل به على .

جـ ـ مرآة الزمان ليس لابن الجوزي ، بل هو لسبطه يوسف المتوفى سنة ٦٥٤هـ .

٥٥ـ وذكر في الرقم ١٠ : « قضاة دمشق » .

والصحيح : « أخبار قضاة دمشق » . هكذا ذكره تلميذه الصفدي في الوافي ١/٥٣ وحاجي خليفة في كشف الظنون ١/٢٩ والبغدادي في هدية العارفين ٢/١٥٤ .

٥٦ـ وذكر في الرقم ١١ : « مناقب الصديق . أو حسب قائمة أخرى: توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق » .

أقول : العنوان الثاني هو الصحيح ، أما الاول فهو عنوان مختصر .

٥٧ـ وذكر في الرقم ١٥ : « مختصر الجهاد لبهاءالدين ابن عساكر » .

أقول : لا علاقة لهذا الكتاب بكتب الذهبي التاريخية ، وأنبه القارىء الى ان المحقق اشترط في الكتب التي يذكرها ان تكون من الكتب التاريخية والا لاستدركنا عليه عشرات مما لم يذكره .

٥٨ـ وذكر في الرقم ١٦ : « مختصر الرد على الرافضة لابن تيمية » .

أقول :

أ ـ لا علاقة لهذا الكتاب بالكتب التاريخية .

ب ـ عنوان الكتاب الصحيح هو : « المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال » . وقد انتقاه الذهبي من كتاب « منهاج الاعتدال » لشيخه ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ . وكان ابن تيمية قد ألف كتابه هذا ردا على كتاب « منهاج الكرامة في معرفة الامامة » لابن المطهر الحلي المتوفى

سنة ٧٢٦هـ .

جـ ـ ومنتقى الذهبي هذا ليس مفقودا ، فقد حققه ونشره محب الدين الخطيب ، وطبع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٧٤هـ في ٥٩٢ صفحة .

٥٩ـ وقال في الرقم ١٧ : « مختصر الاطراف للمزي » .

أقول :

أ ـ لا علاقة لهذا الكتاب بالتاريخ من قريب أو بعيد .

ب ـ اسم الكتاب الصحيح هو : « مختصر تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف للمزي » و « تحفة الاشراف » من كتب المزي النفيسة ، وهو في أطراف أحاديث الكتب الستة مضافا اليها تأليف أصحاب الكتب الستة الاخرى ، وتبلغ مجموع أحاديثه ١٩٥٩٥ حديثا مقسمة على نحو من ألف وخمس مئة مسند . وقد تم طبع خمسة أجزاء منه في الهند .

٦٠ـ وقال في الرقم ١٨ : « مختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . لعله كتاب : « المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد . نشره وحققه مصطفى جواد بالعراق » .

وهذا خلط غريب ، والصحيح :

أ ـ اختصر الذهبي « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ وقد ذكره الصفدي في الوافي ٢/١٦٤ وابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ وذكرا انه في مجلدين . وأشار اليه السخاوي في الاعلان ، ص ٦٢٣ عند كلامه على تواريخ بغداد .

ب ــ أما « المختصر المحتاج اليه من تاريخ أبي عبدالله محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي » فهو مختصر من الذيل الذي ذيّل به ابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ على ذيل تاريخ بغداد لابن السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ الذي ذيّل به على الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ .

جـ ــ قلنا سابقا ان المرحوم الدكتور مصطفى جواد حقق منه جزأين فقط .

د ــ أما الذي نشره فهو المجمع العلمي العراقي ، وقد صدر الجزء الاول سنة ١٩٥١م وصدر الجزء الثاني سنة ١٩٦٣م .

هـ ــ ادعى المحقق بانه وقف على « المختصر المحتاج اليه » وكيف نصدق ادعاءه وقد قال الذهبي في مقدمة هذا التاريخ : « ... وبعد فهذا مختار محتاج اليه من تاريخ الحافظ المسند المحدث أبي عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى بن علي ابن الدبيثي الذي جعله ذيلا على تاريخ أبي سعد السمعاني الحافظ ، المذيّل على تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد ابن علي الخطيب » .

٦١ــ وقال في الرقم ٢٠ : « مختصر وفيات الشريف النساب » .

أقول :

أ ــ الصحيح هو : « مختصر صلة التكملة لوفيات النقلة » .

ب ــ ومؤلف الاصل هو الشريف النسابة عزالدين أحمد بن محمد ابن عبدالرحمن الحسيني الحلبي ثم المصري المتوفى سنة ٦٩٥هـ .

جـ ـ اخطأ استاذنا العلامة المرحوم الدكتور مصطفى جواد حينما ظن أن أصل الكتاب لمحمد بن أسعد الجواني الشـــريف العلوي النسابة المشهور المتوفى ســـنة ٥٨٨هـ[١٧] فالذي حفظناه عن أهل التواريخ ان الجواني لم يؤلف كتـابا في « الوفيات » ولا عرف له اشتغال واسع بهذا الفن • وقـد ذيل عزالدين الحسيني بكتابه هـــذا على كتاب « التكملة لوفيات النقلة » لشيخه عبدالعظيم المنذري المتوفى ســـنة ٦٥٦هـ ابتدأه من سنة ٦٤١هـ ووقف به عند سنة ٦٧٤هـ ، وقال الذهبي في ترجمته من تاريخ الاسلام في وفيات ســنة ٦٩٥هـ : « وله وفيات ذيّل بها على شيخه المنذري الى ســنة أربع وسبعين وست مئة ، هذا الذي اتصلِ بنا ولعله ذيّل الى حين وفاته ولم نره »[١٩] •

٦٢ـ وذكر في الرقم ٢١ : « مختصر وفيات المنذري » •

والأصح : مختصر التكملة لوفيات النقلة للمنذري •

٦٣ـ وقال في الرقم ٢٢ : « المعجم الاوسط والمعجم الصغير لشيوخه • على أساس ان الكبير والمختص موجودان في باريس وعلى أساس أن معجم الذهبي الموجود بالقاهرة هو المعجم الكبير » •

ومن الملاحظات :

أ ـ قلنا سابقا ان المعجم الصغير موجود ومنه نسخة خطية بدار الكتب الظاهرية بدمشق ضمن مجموع يحمـــل الرقم ١٢ ويسمى أيضا : « المعجم اللطيف » •

ب ـ لا توجد في باريس نسخة من المعجم المختص والمعجم الكبير،

بل الموجود انتقاء منهما لابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١هـ .

٦٤ـ وقال في الرقم ٢٥ : « أسماء الرجال كما ذكره التاج السبكي ... »
أقول : لم يذكر التاج السبكي مثل هذا الأسم !!

٦٥ـ وقد فات المحقق عددا كبيرا من كتب الذهبي مما يدخل في خطة المحقق الذي أورد الكتب التاريخية والتراجمية والسير الشخصية والمختصرات فمما يستدرك عليه :

١ ـ اخبار السد :
ذكره الصفدي في الوافي ٢/١٦٤ ونكت الهميان ٢٤٣ وابن شاكر في فوات الوفيات ٢/١٨٣ وعيون التواريخ ، الورقة ٨٦ . وهو في أخبار السد الذي بناه ذو القرنين والذي ورد ذكره في القرآن الكريم (الكهف ٩٣) .

٢ ـ الامصار ذوات الآثار :
وهو جزء أفرده الذهبي في ذكر أشهر الامصار ومن نسب اليها من العلماء أو عاش فيها ، وتكلم فيه على ظهور العناية بالعلم في كل قطر أو مدينة تناولها وما آلت اليه على مدى العصور ، ثم تناول أوضاع العلم فيها على زمانه . وقد أورد شمس الدين السخاوي قسما كبيرا منه في كتابه الاعلان وعلق عليه (ص ٦٦٨) .

٣ ـ كتاب البيان عن اسم ابن فلان :
ذكره سبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨٠) .

٤ ـ كتاب تقييد المهمل :

ذكره سبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨٠) .

٥ ـ كتاب التلويح بمن سبق ولحق :

ذكره ابن تغرى بردى في المنهل الصافي (الورقة ٧٠) ، وسبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨٠) ، وابن العماد في الشذرات ٦/١٥٦ .

٦ ـ جزء أربعة تعاصروا :

ذكره سبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨٠) .

٧ ـ ذيل كتاب الضعفاء لابن الجوزي :

قال الذهبي في مقدمة الميزان ١/٢ : « وصنف أبو الفرج ابن الجوزي كتابا كبيرا في ذلك كنت اختصرته اولا ثم ذيلت عليه ذيلا بعد ذيل » . وقال شمس الدين السخاوي بعد ذكر اختصار الذهبي لكتاب الضعفاء لابن الجوزي : « بل وذيّل عليه في تصنيفين جمع معظمها في ميزانه » . ومن هنا يتبين لنا ان الذهبي عمل ذيلا على كتاب الضعفاء لابن الجوزي ، ثم عمل :

٨ ـ الذيل على ذيل كتاب الضعفاء لابن الجوزي .

٩ ـ كتاب الزلازل :

ذكره ابن تغرى بردى في المنهل الصافي (الورقة ٧٠) ، وسبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨٠) وابن العماد في الشذرات ٦/١٥٦ .

١٠ـ طبقات الشيوخ :

ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/٨٧٦ فقال في ترجمة علي ابن حمشاذ النيسابوري العدل : « متقن رحال ، ذكرناه في طبقات الشيوخ ، ولو نقل الى هنا لساغ فان له مسندا في ثلاث مئة جزء أو أكثر » . ويظهر من استقراء هذا النص أن طبقات الشيوخ اشتمل على المحدثين الذين هم دون الحفظ مرتبة .

١١ـ عنوان السير في ذكر الصحابة :

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/١١٧٥) ولا ندري فيما اذا كان هو « تجريد اسماء الصحابة » الذي اختصره من « أسد الغابة » لابن الاثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ لعدم وقوفنا على نسخة منه أو وصف له وان كنا نستبعد ذلك لسببين : الاول ان حاجي خليفة لم يشر الى ذلك اطلاقا، كما لم يشر أحد ممن ذكر « التجريد » الى هذا الاسم . والثاني : انه ذكر « التجريد » في موضع آخر غير هذا الموضع (كشف ١/٣٥١) . وقد نقل السيد الزبيدي في مادة (حول) من « تاج العروس » عن « معجم الصحابة » للذهبي ، ويظهر أنه كان يمتلك نسخة منه ، فلعله هو ؟ (٧/٢٩٧ ط . الكويت) .

١٢ـ القبان في أصحاب التقي ابن تيمية :

ذكره السخاوي في الاعلان (٦٧٥) .

١٣ـ كتاب معرفة آل مندة :

وهو في تراجم بني مندة الاصبهانيين العبديين الحفاظ

المشهورين . ذكره سبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨٠) ، وقال الذهبي في ترجمة أبي عبدالله محمد بن اسحاق ابن مندة المتوفى سنة ٣٩٥هـ من تذكرة الحفاظ (٣/١٠٣٥): « واستوفينا ذكر أبي عبدالله في كتاب آل مندة » .

١٤ـ بلبل الروض :

ذكره سبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨١) وذكر انه اختصره من كتاب « الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام » الذي ألفه عبدالرحمن بن عبدالله الاندلسي المعروف بالسهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ .

١٥ـ مختصر التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار :

ذكره الذهبي في ترجمة ابن الأبار من تاريخ الاسلام ، فقال : « كمل الصلة البشكوالية بكتاب في ثلاثة أسفار أختصرته في مجلد » (الورقة ١٨٥ من نسخة أيا صوفيا ٣٠١٣) .

١٦ ـ مختصر الضعفاء لابن الجوزي :

قال الذهبي في مقدمة كتابه « ميزان الاعتدال » عند الكلام على الكتب المؤلفة في الضعفاء : « وصنف أبو الفرج ابن الجوزي كتابا كبيرا في ذلك كنت أختصرته أولا » . وقال السخاوي في الكتب المؤلفة في الضعفاء من الاعلان (ص ٥٨٧) : « وابن الجوزي ، واختصره الذهبي » .

١٧ـ مختصر كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي :

ذكره الذهبي في ترجمة ابن تومرت المتوفى سنة ٥٢٤هـ من تاريخ الاسلام ، فقال : « ونقل عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي في كتاب المعجب الـــذي اختصـرته أن ... » (الورقة من نسخة أيا صوفيا ٣٠١٠) .

١٨ـ مختصر مناقب سفيان الثوري لابن الجوزي :

ذكره الذهبي في ترجمة أبي عبدالله سفيان الثوري من تذكرة الحفاظ (١/٢٠٦) ، فقال : « مناقب هذا الامام في مجلـد لابن الجوزي وقد اختصرته » .

١٩ـ المنتخب من تاريخ ابن النجار :

ذكره سبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨١) وذكر انه في مجلد وتاريخ ابن النجار هو : « التاريخ المجدد لمدينة السلام واخبار فضلائها الاعلام ومن وردها من علماء الانام» الذي ذيل به على الخطيب البغدادي .

٢٠ـ منتقى الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر :

ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام (٢/٢٥٤ من طبعة القدسي).

٢١ـ المنتقى من تاريخ أبي الفدا :

ذكره السخاوي في الاعلان (ص ٦٧٤) .

٢٢ ـ المنتقى من تاريخ خوارزم لابن أرسلان الخوارزمي :

نقل منه تقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٣هـ في العقـد الثمين فقال في ترجمة محمد بن أحمد بن أبي سعيد المكي : « نقلت هذه الترجمة هكذا من خط الحافظ الذهبي فيمـا انتقاه من المجلد الاول من تاريخ خـوارزم للحافظ الرحال

محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي ، وذكر (الذهبي) انه نحو من ثماني مجلدات كبار » (١/٢٩٢) . وذكره السخاوي في الاعلان عند كلامه على التواريخ المحلية (ص٦٣٠) وذكر حاجي خليفة أن الذهبي اختصره (كشف ١/٢٩٣) .

٢٣ـ المنتقى من معجم يوسف بن خليل الدمشقي :

سمعه الحافظ ابن حجر العسقلاني على حفيد الذهبي ، محمد ابن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد « ٧٣٢ـ٨٠٣هـ » وعلى سبطه عبدالقادر بن محمد بن علي الدمشقي «٧٢٩ـ٨٠٣هـ» فقال ذاكرا مسموعاته : « وجزءا فيه منتقى من معجم يوسف بن خليل انتقاء الذهبي بسماعه على جده الذهبي المنتقى المذكور » (المجمع المؤسس ، الورقة ١٥٥ من نسختي المصورة) .

٢٤ـ المنتقى من معرفة الصحابة لابن مندة :

انتقى الذهبي منه مجيليدا في جزأين سمعه الحافظ ابن حجر العسقلاني على ابنه أبي هريرة عبدالرحمن ابن الذهبي . (المجمع المؤسس ، الورقة ٨٨ من نسختي المصورة) .

٢٥ـ النبلاء في شيوخ السنة :

ذكره سبط ابن حجر في رونق الالفاظ (الورقة ١٨١) ، وابن تغرى بردى في المنهل الصافي (الورقة ٧٠) ، وابن العماد في الشذرات (٦/١٥٥) وقالوا : « أخذه من كتاب ابن عساكر وزاده فوائد ومحاسن » وذكروا انه في مجلد . وكتاب ابن

عساكر هو « المعجم المشتمل على أسماء الشيوخ النبـل » الذي احتفظ في خزانة كتبي بنسخة نفيسة مصورة عن نسخة الخزانة التيمورية رقم ١٧٤٩ كتبت سنة ٦٣٥هـ وفي خزائن الكتب العالمية غير نسخة منه .

الهوامش

١ ـ حاجي خليفة : كشف ٢/١٠٩٥ .

٢ ـ ابن حجر : المجمع المؤسس ، الورقة ١٣٧ .

٣ ـ ص٥٠٦ـ٥١٣ (دمشق ١٩٦٩) .

٤ ـ نكت الهيميان ، ص٢٤٢ .

٥ ـ ذيل تاريخ مدينة السلام ، م١ ص٧٧ (بتحقيقنا) .

٦ ـ الذهبي : تذكرة ٤/١٤٧٧ـ١٤٧٩ ، وسير اعلام النبلاء ج١٣ الورقة ٣٠٢ ابن شاكر : فوات ٢/١٧ ، السبكي ، طبقات ٤/١٠ ، ابن كثير : البداية ١٤/٤٠ وكتابنا : المنذري ، ص١٤٠ . اما معجم شيوخه فقد اختصره وترجمه الى الفرنسية الاستاذ جورج فايدا وطبع في باريس سنة ١٩٦٢ .

٧ ـ ذيل تذكرة الحفاظ ، ص٥٤ .

٨ ـ منسوب الى حصن كيفا .

٩ ـ الطبقات ٩/١٠٤ .

١٠ ـ الورقة ١٧٩ .

١١ ـ الورقة ٧٠ (نسخة رئيس الكتاب باستانبول رقم ٦٢٧) .

١٢ ـ الورقة ١٠٤ (نسخة أحمد الثالث رقم ٢٨٣٦) .

١٣ ـ انظر كتابنا : الذهبي ومنهجه ، ص٢٤ فما بعد .

١٤ ـ كشف ١/٧٦٢ ، ٨٢٩ .

١٥ ـ الاعلان ، ص٦٧٥ .

١٦ ـ الورقة ٧ من نسختي المصورة .

١٧ ـ انظر مقدمة المختصر المحتاج اليه ١/١٥ .

١٨ ـ راجع تآليف الجواني وأخباره عند : العمـــاد الاصبهاني في الخريدة ـ القسم المصري ١/١١٧ وياقوت في معجم البلـدان ٢/١٣٧ ، والمنذري في التكملة ١/٣٢٥ وابن الصابوني في تكملة اكمال الاكمال ١٠٠ والعسجد المسبوك ، الورقة ٩٧ وابن حجر في اللسان ٥/٧٤ وابن تغرى بردى في النجوم ٦/٦٦٩ والزبيدي في التاج ٩/١٦٩ ٠

١٩ ـ الورقة ٢٤٣ من نسخة أيا صوفيا ٣٠١٤ وفي خـزانة كتبي نسخة مصورة عن النسخة الفريدة المحفوظة في مكتبة كوبرلي باستانبول رقم ١١٠١ وهي مسودة المؤلف التي بخطه ٠ وتوهم الدكتور لطفي عبدالبديع حينما ظن ان النسخة ناقصة تقف عند سنة ٦٦٠هـ لاضطراب اوراقها فهي كاملة الى سنة ٦٧٤هـ (فهرس المخطوطات ج٢ قسم١ ص١٦٣) ٠

الفصل الثالث

ملاحظات على عنوان الكتاب ومخطوطاته وتقسيمه

خصص الدكتور المحقق القسم الثالث من مقدمته لـ « المخطوطات الخاصة بالتاريخ الكبير للذهبي » وابتدأه بعنوان الكتاب ، ثم وصف نسخه الخطية التي ادعى انه رآها واطلع عليها وناقش تقسيم الكتاب عند المؤلف وما سيكون عليه عند الطبع .

اولا : عنوان الكتاب :

١ ــ وضع المحقق عنوان الكتاب كما يأتي : « التاريخ الكبير . أو تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » . وقال في الصفحة ٤١ موضحا سبب اختياره لهذا العنوان : « تختلف أجزاء الكتاب في ذكر عنوانه : بسطا وايجازا ووصفا ، فتذكر بعض الاجزاء أول عبارة من العنوان وهي : تاريخ الاسلام . دون أضافة أخرى ، وتذكر بعض الاجزاء عبارتي العنوان وهما : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام والى جانب ذلك يشير المؤلف نفسه الى نفس كتابه هذا بأسم « التاريخ الكبير » . والخلاصة ان العناوين الواردة لهذا الكتاب اما مختصرة واما كاملة أو واصفة ونحن نؤثر العنوان الكامل والواصف ونلتزم به ونؤثره على العنوان المختصر، ولهذا جعلنا له عنوانين كما يأتي ... الخ » . ثم قال : « من الطبيعي المنطقي أن تكون نسخة المؤلف أساسا لتلقي مؤلفاته » .

وهذا الكلام يبدو لاول وهلة علميا ولكنه في الواقع خال من الصحة ويدل على أن المحقق الذي ادعى أنه وقف على المجلدات التي وصلت الينا بخط المؤلف ، لم يطلع عليها والا لما قال هذه المقالة وذلك :

أ ـ لم ترد في جميع المجلدات العشرة التي وصلت الينا بخط المؤلف عبارة « تاريخ الاسلام » لوحدها .

ب ـ لم ترد عبارة « تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » في جميع المجلدات التي وصلت الينا بخط المؤلف ، وانما وردت في طرة المجلدين الثاني والحادي والعشرين فقط ، أما المجلدات الثمانية الاخرى فقد ورد فيها العنوان بخط المؤلف كما يأتي : « تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام » وهو العنوان الصحيح للكتاب كما سنثبت بعد قليل .

جـ ـ ان اشارة الذهبي الى كتابه هذا باسم « التاريخ الكبير » في بعض كتبه الاخرى لايعني اطلاقا ان هذا هو عنوان الكتاب، فانه يستعمل هذا اللفظ تمييزا له عن تاريخه الاوسط المعروف بـ « العبر في خبر من غبر » وتاريخه الآخر « دول الاسلام » المعروف بالتاريخ الصغير . ثم ان استعمال المؤرخين بعض الالفاظ الدالة على كتاب معين لايعني ان هذا اللفظ هو عنوان الكتاب نحو قولهم مثلا : «تاريخ الطبري» ويريدون به : «تاريخ الرسل والملوك» و «تاريخ المسعودي» ويريدون به : «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ، و «تاريخ

ابن النجار » ويريدون به : «التاريخ المجدد لمدينة السلام واخبار فضلائها الاعلام ومن وردها من علماء الانام» ونحو ذلك . والذهبي نفسه يستعمل هـذا في كتابه « تاريخ الاسلام » فيقول مثلا : « قال ابن خلكان في تاريخه »[1] ويريد به كتاب « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان» ، و «قال موفق الدين بن أبي أصيبعة في تاريخه»[2] وهو لاشك يقصد كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء »، ويقول مثلا : « وقال السلمي في تاريخه »[3] ويريد به كتاب « طبقات الصوفية » ، ويقول مثلا : « ذكره أبو شامة في تاريخه »[4] مع ان تاريخ ابي شامة هو كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين » ، وهلم جرا . فهل يصح ان نضع مثل تلك العناوين ونحن نعرف العناوين الحقيقية لهذه الكتب بسبب ان بعض المؤرخين ذكروها كذلك ؟ .

والواقع ان شمس الدين الذهبي سمى كتابه أولا : « تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » حينما كتبه أول مرة سنة ٧١٤هـ ، لانه نظم كتابه على الطبقات ، وجعل كل طبقة عشر سنوات ، ولكنه غيّر رأيه في هذا التنظيم بعد سنة ٣٠٠هـ فبدأ ينظم الكتاب حسب السنين ابتداءا من سنة ٣٠١هـ . واستمر على ذلك الى نهاية الكتاب وصار يذكر وفيات كل سنة بصورة مستقلة مرتبا تراجم السنة الواحدة على حروف المعجم ، وذاكرا المتوفين على التقريب في نهاية كل طبقة .

وقد استطاع الذهبي ان ينقل كتابه هذه النقلة التنظيمية لعدة أسباب كان من ابرزها انتشار التدوين انتشارا واسعا في مطلع القرن الرابع الهجري وتوافر مادة جيدة في الوفيات ، وقد اشار الذهبي الى ذلك في مقدمة كتابه بعد الذي ذكره من عدم اعتناء المتقدمين بضبط الوفيات فقال : « ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة الى معرفتنا لهم ، فلهذا حفظت وفيات خلق من المجهولين » ١/١٧ .

ان هذه النقلة قد أدت بلا ريب الى ضعف أهمية التنظيم على « العقود » الذي سار عليه المؤلف في كتابه من سنة ٤١هـ الى سنة ٣٠٠هـ وهو ما اصطلح على تسميته بـ « الطبقة » . وعلى الرغم من أن المؤلف ظل يستعمل لفظ « الطبقة » في مقدمة كل « عقد » الا انه لم تعد لها قيمة كبيرة بعد نقل تنظيم الكتاب الى التنظيم حسب السنين ، فرأى ان يغير لفظ « طبقات » الوارد في عنوان الكتاب الى لفظ « وفيات » وبذلك غيّر رأيه في عنوان الكتاب فجعله : « تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام » حينما أعاد تنظيم الكتاب سنة ٧٢٦هـ ، يدل على ذلك وصول طرتي المجلدين : الثاني والحادي والعشرين بخط المؤلف يحملان العنوان الاول وهما من النشرة الاولى ، أعني نشره سنة ٧١٤هـ ، أما المجلدات الثمانية الاخرى التي وصلت الينا بخط المؤلف فهي تحمل العنوان الاخير الذي استقر عليه

المؤلف بعد اعادة تنظيم الكتاب سنة ٧٢٦هـ[٥] .

ثانيا : مخطوطات تاريخ الاسلام :

٢ ــ صدر المحقق كلامه على هذا القسم من مقدمته بقوله (ص ٤١) :

« من الطبيعي المنطقي ان تكون نسخة المؤلف اساسا لتلقي معلوماته ، فان لم توجد نسخة المؤلف اعتمدنا على من نقل عنه ، وكانت نسخة الناقل أقل درجة من نسخة المؤلف . وهي بمثابة طبعة ثانية لم يراجعها المؤلف ، فان كان راجعها ارتفعت درجتها واعتبرت أصلا » .

ومن ملاحظاتنا :

أ ــ « أساسا لتلقي معلوماته » . الاصح : اساسا للتحقيق .

ب ــ « اعتمدنا على من نقل ... » الصحيح : اعتمدنا من نقل . لان الفعل « اعتمد » يتعدى بنفسه .

جـ ــ « طبعة ثانية » . الصحيح : نشرة ثانية . لعدم وجود الطباعة آنذاك .

د ــ « فان كان راجعها ... » الاصح : فان كانت قد قرئت عليه ... أو : فان كان وضع خطه عليها ، أو : فان كان اعتمدها ... الخ . ومعلوم أن المؤلف لا يراجع نسخ الآخرين بنفسه .

هـ ــ ومع ذلك فكلامه هذا على جانب كبير من الصواب وكنا نأمل ان يطبقه على منهجه التحقيقي ، ولكنه لم يفعل كما سنرى بعد قليل .

٣ ــ وقال في الصفحة ٤٢ : « ولدينا في جمهورية مصر العربية نسختان

مجموعتان لهذا الكتاب ، كان الفضل في جمع إحداها لدار الكتب المصرية بالقاهرة ، وكان الفضل في جمع الاخرى لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية • وهاتان النسختان تمثلان كل ما وجدته هذه المؤسسات القاهرية في مصر وفي خارج مصر •

أقول :

أ ـ لاتوجد في جامعة الدول العربية « نسخة مجموعة » من تاريخ الاسلام بل هناك مجموعة من المجلدات المتباينة التي قام معهد احياء المخطوطات بالجامعة بتصويرها •

ب ـ لم يكلف المحقق نفسه حتى بمراجعة فهرس الجامعة ، وظن متوهما ، ان المعهد ليس لديه من « تاريخ الاسلام » غير ما هو مدرج تحت الرقم ٩٨ تاريخ وفاته ان المعهد حصل على مجموعات أخرى أوردها في الارقام ٥٩٦ ، ٩٤٩ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ تاريخ !!

جـ ـ لم تكن هذه النسخ « كل ما وجدته هذه المؤسسات في مصر وفي خارج مصر » وآية ذلك ان بروكلمان ذكر عددا من النسخ التي لم تقم الجامعة بتصويرها ، وان العاملين بالمعهد يعرفون كتاب بروكلمان جيدا ، ويعلمون هذه الحقيقة أيضا •

د ـ ان معهد احياء المخطوطات ليس مؤسسة « قاهرية » فهو تابع لجامعة الدول العربية التي هي مؤسسة عربية • ومثل ذلك قوله في الصفحة نفسها : « مؤسسات مصرية عربية » والصحيح : مؤسسات مصرية وعربية •

٤ ــ وقال في الصفحة نفسها : « وقد اطلعنا على كل هذه الاصول اطلاع تصفح » وهذا كلام غير علمي ، فالمفروض بالمحقق المدقق ان يدرس النسخ بروية وامعان قبل اعتماد احداها ليكون على بيّنة من أمره .

٥ ــ ثم قال في نهاية الصفحة ٤٢ وبداية ٤٣ : « وبفضل جهود هذه المؤسسات أصبح في يدنا أول كتاب التاريخ الكبير للذهبي : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم معظمه بخط المؤلف نفسه ، وهو موجود ضمن نسخة الجامعة العربية رقم ٩٨ تاريخ » .

وهذا كلام لا صحة له فان الموجود بخط المؤلف هو المجلد الثاني من تاريخ الاسلام للذهبي وهو مصور عن نسخة محفوظة في خزانة كتب أيا صوفيا باستانبول تحت رقم ٣٠٠٥ وهو ليس بداية تاريخ الاسلام للذهبي ، وان بداية الكتاب هو ما قام المحقق بنشره !!! وهو لا يوجد في نسخة جامعة الدول العربية ، بل بنسخة دار الكتب المصرية المصورة عند الجامعة العربية .

٦ ــ ثم قال : « وقد وجدنا هذا القسم المكتوب بخط المؤلف أجدر وأحق بالاصالة (كذا) من نسخة دار الكتب القومية فاعتمدناه أصلا لهذا النشر » .

قلت : الطريف ان المحقق لم يعتمد هذا المجلد لانه لا يتضمن مانشره المحقق !

٧ ــ وقال بعد ذلك : « وقد رمزنا اليه بحرفي ص.ج اشارة الى القديسة صوفيا وكنيستها وجامعها ومكتبتها والى الجامعة العربية . ليعبر الرمز عن المؤسسات المهتمة بالذهبي » .

أقول :

أ ــ ان كلام المحقق هذا يشير الى أن نسخة جامعة الدول العربية مصورة عن أيا صوفيا فقط ، وهذا غير صحيح فان الرقم ٩٨ تاريخ الذي آشار اليه المحقق قد تضمن لوحده مصورات عن مكتبة أيا صوفيا ومكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول ودار الكتب المصرية !

ب ــ لم يكن من وكد هذه المؤسسات الاهتمام بالذهبي لشخصه بل كانت عنايتها جمع المخطوطات .

جـ ــ ان كلام المحقق بمجموعه غير صحيح لانه لم يعتمد النسخة المذكورة بله عدم وجود مانشره في مكتبه أيا صوفيا !

٨ ــ ثم قال مستمرا في ادعاءآته : « وقد التزمنا بطبيعة الحال ان يكون ترقيم الصفحات بحسب هذه النسخة المعتمدة ص.ج كما التزمنا بان يكون النقل بحسب نفس (كذا) النسخة ... الخ » .

وكل هذا غير موجود للاسباب التي ذكرناها آنفا .

٩ ــ وبدأ المحقق بعد ذلك بوصف نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم ٤٢ تاريخ ، ولا أبالغ اذا قلت انه لم يطلع عليها جميعا لوقوعه باخطاء كثيرة عند وصفها ولاعتماده على فهرس الدار المذكورة واليك بعض أمثلة ذلك :

أ ــ قال : « القطع المصورة عن مكتبة أيا صوفيا تشمل ما يأتي: المجلدات من ٤ــ٦ = ٤١ــ١٢٠هـ » . ولا توجد في أيا صوفيا نسخة تتضمن السنوات ٤١ــ١٢٠هـ وقد دققتها بنفسي ، بل ان تسلسل أرقام المجلدات المتواجدة من تاريخ

الاسلام في المكتبة المذكورة واضح فالرقم ٣٠٠٥ يتضمن الترجمة النبوية الى سنة ٣٠ هجرية ، والرقم ٣٠٠٦ يتضمن الفترة ١٨١ــ٢٠٠هـ بحوادثها ووفياتها ، وهو بخط المؤلف ومخروم من أوله حيث يبدأ في أثناء ترجمة الامام مالك بن أنس من تراجم الطبقة الثامنة عشرة وتجيء بعدها ١١٥ ترجمة من تراجم الطبقة المذكورة وأنا أسأل المحقق عن هذا المجلد في مكتبة أيا صوفيا ان كان له وجود !!

ب ــ وقال واصفا المجلد الخامس والعشرين من نسخة الدار المذكورة : « قبيل آخر ٥٠١ ــ آخر ٥٣٠هـ » . والصحيح: انه تضمن الوفيات فقط !

جـ ــ وقال واصفا المجلد السادس والعشرين منها : « قبيل آخر ٥٢٣ ــ ٥٧٠ » . قلت : وهذا غير صحيح أيضا فان هذا المجلد تضمن وفيات السنوات ٥٣٢ــ٥٥٥هـ وفي آخره جملة حوادث من ٥٥١ حتى ٥٦٩هـ ، وليعد فحص المجلد ليرى مصداق كلامي .

د ــ وقال عن المجلدين ٣١ ، ٣٢ منها : « أواخر ٦٦٣ ــ ٦٨٠هـ » قلت : ليس فيها غير الوفيات .

هـ ــ ولعل من أقوى الادلة التي تبين ان المحقق لم يطلع حتى على نسخة دار الكتب المصرية قوله في نهاية الجدول الوصفي الذي أورده عنها : « وتبين من هذا الجدول أن نسخة دار الكتب رقم ٤٢ ناقصة على النحو التالي محسوبا بالسنوات :

من ١٥١ ــ ١٦٠هـ = الطبقة ١٦

من ٢٣١ ــ ٢٣٢هـ = سنتان من الطبقة ٢٤

من ٣٧١ ــ ٤٠٠هـ = الطبقات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠

٥٣١هـ = سنة من الطبقة ٥٤

من ٥٧٠ ــ ٥٨٠هـ = الطبقة ٥٨

من آخر ٦١٣ ــ أول ٦١٤هـ = سنة تقريبا من طبقة ٦٢

من ٦٢٢ ــ ٦٦٣هـ = الطبقات ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ وبعض ٦٧ » .

فاقول :

اذا كان المحقق قد اطلع على هذه النسخة فكيف فاته مثلا ان المجلدات ٢٧ ــ ٣٠ من نسخة دار الكتب المصورة عن نسخة باريس رقم ١٥٨٢ عربيات لم تتضمن غير الوفيات وانها خالية من الحوادث ، ثم اذا كانت هذه النسخة تتضمن الفترة ٥٨١ ــ ٦٢٠ فكيف يذكر ان من النواقص ٦١٣ ــ ٦١٤هـ ثم كيف فاته ان المجلدات ٢٢ ــ ٢٤ المتضمنة الفترة ٤٠١ ــ ٤٥٠هـ ليس فيها غير الوفيات أيضا وانها خالية من الحوادث وهي النسخة المصورة عن نسخة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٩ ؟ اما المجلدان ١٥ ، ١٦ فهما من مختصرات تاريخ الاسلام ، وليس منه وقد تضمنا الفترة الواقعة بين ٢٥٠ ــ ٥٠٠هـ . وأما المجلدان ٣١ ، ٣٢ من نسخة الدار المذكورة فالاول منهما يتضمن آخر وفيات سنة ٦٦٣ حتى نهاية وفيات ٦٧٠ ، وليس فيه حوادث ، وأما الثاني فلا يتضمن غير حوادث الفترة ٦٧١ ــ ٦٨٠ وليس فيه وفيات ؟! ثم انظر الى قوله

« سنتان من الطبقة ٢٤ » في حين لا وجود للتنظيم على السنين قبل سنة ٣٠١هـ !! فالتراجم قبلها منظمة على حروف المعجم لكل عشر سنوات ... الخ .

فهل افترض المحقق الفاضل أن أحدا لم يطلع على تاريخ الاسلام وان الباحثين والدارسين كلهم جهلاء حتى يدلس كل هذا التدليس ويقول ما لا حقيقة له ؟ فليدقق من يحب ان يدقق ودار الكتب القومية بالقاهرة مفتوحة للجميع ليرى مصداق قولنا ومدى الاساءة التي أساء بها المحقق للبحث العلمي والناموس التاريخي.

١٠ــ اما النسخة الثانية التي وصفها المحقق الفاضل فقد صدرها بعنوان كبير هذا نصه : « وصف مخطوطات الجامعة العربية » وهذه النسخة لم يطلع المحقق عليها لتقديم أوصاف خاطئة عنها واعتماده فهرس معهد المخطوطات فقط من غير رؤية للنسخ ودراسة لها ، وسوف تبين ملاحظاتنا الآتية صحة دعوانا .

١١ــ قال المحقق واصفا نسخة الجامعة العربية ، ص ٤٨ : « فاذا استقصينا التتابع في السنوات وجدنا نسخة الجامعة العربية تبدأ من القسم الثاني : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتنتهي عند عام ٦٨٠ ، ومعنى ذلك انها ناقصة من نهايتها من ٦٨٠ ــ ٧٠٠ ومن ٧٠٠ ــ ٧٤٠ كما ينقصها أيضا القسم الاول من السيرة المعروف باسم المغازي » .

أقول :

أ ــ قوله انها ناقصة من نهايتها من ٦٨٠ ــ ٧٠٠هـ غير صحيح فان النسخة الثالثة من الرقم ٩٨ تاريخ المصورة عن دار

الكتب المصرية تتضمن هـذه السنوات وهي نسخة المتحف البريطاني ذات الرقم ١٥٤٠ شرقيات . يضـاف الى ذلك ان هناك مصورة عن نسخة أيا صوفيا رقم ٣٠١٤ بخط المؤلف تتضمن حوادث ووفيات الفترة ٦٧١ ـ ٧٠٠هـ وهو المجلد الحادي والعشرون . والطريف ان هذا المجلد ضمن نسخة المعهد التي تحمل الرقم ٩٨ تاريخ أيضا فكيف اطلع المحقق عليهـا ؟ .

ب ـ وقوله : « من ٧٠٠ ـ ٧٤٠هـ » جناية على التاريخ فهل نسي ان تاريخ الاسلام يقف عند سنة ٧٠٠هـ فكيف يقال بعـد ذلك انه ناقص من ٧٠٠ ـ ٧٤٠هـ ؟

١٢ـ وقال بعد ذلك : « ولعل أهم فضائل النسخة ص.ج أنها تحـوى خمسة أجزاء بخط المؤلف » .

وهذا خطأ أيضا لانها تحتوي على عشرة مجلدات بخط المؤلف وهي المصورة عن أيا صوفيا وأرقامها في أيا صوفيا من ٣٠٠٥ ـ ٣٠١٤ .

١٣ـ وقال بعد ذلك واصفا الاجزاء الخمسة المزعومة : « الجزء الاول الخاص بالسيرة ... ويتناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم دون غزواته » .

والصحيح :

أ ـ ان هذا ليس الجزء الاول ، بل المجلد الثاني من تاريخ الاسلام الذي وصل الينا بخط المؤلف ، وقد جاء في طرة النسخة : « المجلد الثاني من تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام

وأوله الترجمة النبوية جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان الفارضي ابن الذهبي » . وعلى طرة النسخة أيضا سماع لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تلميذ الذهبي ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ وقد كتبه بخطه المتقن الجميل وهذا نصه : « قرأت هذه المجلدة ، وهي الجزء الثاني من تاريخ الاسلام على كاتبه ومؤلفه شيخنا الامام الحافظ العلامة قدوة المؤرخين حجة المحدثين شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ أدام الله الامتاع بفوائده ـ في ثمانية عشر ميعادا آخرها تاسع عشر ربيع الاول سنة ٧٣٥ وسمعها كاملة فتاى طيدمر بن عبدالله الرومي ومن أول الترجمة النبوية الى آخر ترجمةعيينة بن حصن . وسمع بعض ذلك في مياعيد مفرقة جماعة ذكرتهم في البلاغات على الهامش وأجازنا رواية ذلك أجمع . وكتب خليل بن أيبك بن عبدالله الشافعي الصفدي حامدا ومصليا » . وعلى الكتاب ايضا نص وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية بالقاهرة ، وفي أعلى الطرة خطوط جماعة من العلماء ممن نسخوا تاريخ الاسلام عن هذه النسخة أو اختصروه او طالعوه وأفادوا منه .

ب ـ كتب فوق كلمة « الثاني » بخط يشبه خط الذهبي ، وليس خطه ، كلمة : « الاول » وهو وهم من هذا الكاتب الجاهل .

جـ ـ ان هذا المجلد لا يتناول ترجمة الرسول ـ ص ـ فقط حيث لا تستغرق الترجمة النبوية غير ١٣٠ ورقة منه ، بل

يستمر حتى اثناء سنة ٣٠ هو آخر ما فيه ترجمة عيينة بن حصن ، وتقابل نهاية هذا المجلد ، الجزء الثاني ، ص ٩١ من طبعة السيد حسام الدين القدسي وهو يقع في ٢٤١ ورقة .

١٤ــ ثم قال : « جزء يحمل رقم ٥٥٦٨ ويتناول السنوات من ٢٠١ ــ ٣٣٠ » . والصحيح : ٢٣٠ هـ .

وهو المجلد الثامن من نسخة المؤلف التي بخطه ، وقد جاء في طرة العنوان بخط الذهبي : « المجلد الثامن من تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام تأليف كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي ــ سامحه الله ــ » وعلى الطرة أيضا سماع الصفدي ووقفية الكتاب على المدرسية المحمودية ويقع في ٢٤٠ ورقة ، وهو مصور عن نسخة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٧ .

١٥ــ ثم قال عن المجلد الثالث من مجلداته الخمسة : « جزء يحمل الرقم ٥٥٧٤ ويتناول السنوات من ٣٥٠ ــ ٤٠٠ » .

والصحيح :

أ ــ من ٣٥١ ــ ٤٠٠هـ .

ب ــ يتناول الوفيات فقط وليس فيه من الحوادث شيئا .

١٦ــ ثم قال عن المجلد الاخر انه يتناول السنوات ٤٠١ ــ ٤٥٠ .

والصحيح انه اشتمل على الوفيات فقط !

١٧ــ وقال عن المجلد الآخر وهو الاخير عنده أنه يتناول السنوات ٥٠١ ــ ٥٤٥هـ .

وهذا خطأ أيضا وذلك أن هذا المجلد هو المجلد المصور عن نسخة أيا صوفيا ذات الرقم ٣٠١٠ ويشمل الحوادث الواقعة بين

٥٠١ ــ ٥٥٠هـ والوفيات من ٥٠١ الى اثناء سنة ٥٤٦هـ وآخر ما فيه ترجمة علي بن مرشد بن علي الكناني الشيزري من وفيات السنة المذكورة .

١٨ــ ثم قال في الصفحة نفسها ، ص٤٨ : « ومعنى ذلك أن نسخة ص.ج تضمن لنا نصا مضبوطا مكتوبا بخط المؤلف يغطي تاريخ أكثر من ثلاثة قرون على النحو المبين هنا ... وانها تشمل الفترة من ٢٠١ ــ ٥٤٥ مع ثغرة من ٣٣٠ ــ ٣٥٠ » .

وهذا وهم كما بينا فهو لم يصف لنا مجلدا واحدا منها بصورة صحيحة فكيف بعد كل هذا يريدنا ان نصدق انه اطلع على هذه النسخة أما المجلدات الموجودة بخط المؤلف في خزانة كتب أيا صوفيا ومصورة في جامعة الدول العربية ولم يذكرها المحقق فهي على وجه الاختصار :

١ ــ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠٠٦ حوادث ووفيات ١٨١ ــ ٢٠٠هـ .

٢ ــ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١١ حوادث ووفيات ٦٠١ ــ ٦٢٠هـ .

٣ ــ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٢ وفيات ٦٢١ ــ ٦٤٠هـ وحوادث ٦٢١ ــ ٦٥٠هـ .

٤ ــ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٣٠١٣ وفيات ٦٤١ ــ ٦٧٠هـ وحوادث ٦٥١ ــ ٦٧٠هـ .

٥ ــ مجلد مكتبة أيا صوفيا رقم ٢٠١٤ حوادث ووفيات ٦٧١ ــ

٧٠٠هـ . وهذه المجلدات الخمسة كلها مصورة في جامعة الدول العربية وجميعها بخط المؤلف الذهبي .

١٩ــ وقال في الصفحة نفسها : « وملاحظة أخرى هي أن نسخة ص.ج نقلت أيضا بعض أجزائها عن د . م بدار الكتب المصرية » .

قلت : الصحيح ان الجامعة العربية قد صورت لنفسها جميع مجلدات نسخة دار الكتب المصرية وليس بعض أجزائها وهي النسخة الثالثة الموضوعة تحت الرقم ٩٨ تاريخ .

٢٠ــ ثم ناقض المحقق نفسه في الصفحة التالية وهي ص٤٩ حينما قال ان نسخة أيا صوفيا تنقصها ٨٣ سنة من ٥٦٥ الى ٦٠٠ ومن ٦١٩ الى ٦٤٧ ومن ٦٨٠ الى ٧٠٠ . وكان قال قبل قليل انها تشمل الفترة من ٢٠١ ــ ٥٤٥ مع ثغرة من ٣٣٠ الى ٣٥٠ فايهما نصدق وبأيهما نأخذ ؟

والواقع ان جميع كلامه الاول والثاني غير صحيح وقد بينا سابقا عدم صحة ادعاءآته هذه لعدم وقوفه على النسخة فان جميع القرن السابع الهجري قد وصل الينا بخط المؤلف !

٢١ــ ثم وضع عنوانا قال فيه « ما لم يذكره بروكلمان . اخبرنا القدسي عن حمد الجاسر عضو المجمع اللغوي : في نجد : الموجود من تاريخ الاسلام للذهبي في نجد : يوجد عنه الامير عبدالله بن عبدالرحمن اخي المغفور له الملك عبدالعزيز ٤ مجلدات » ثم بدأ بوصفها .

وأنا اسأل ما فائدة وصف مثل هذه النسخة اذا لم يقف عليها المحقق ؟ ولو كان وقف عليها لتخلص من بعض ما وقع فيه

من تخليط وسقوطات خطيرة شوهت هذا المجلد تشويها كبيرا كما سيأتي بيانه • والطريف أن جامعة الدول العربية قد صورت هذه الاجزاء الاربعة ولكن المحق لم يعرف ذلك ، وأنّى له ان يطلع عليها وهو لم يطلع على نسخة دار الكتب المصرية التي حقق لهاهذا الجزء ؟

٢٢ــ ثم قال ــ حفظه الله تعالى ــ في ص ٥١ « وصف القسم الثاني من الجزء الاول الذي ننشره هنا • الجزء الاول من تـاريخ الذهبي خاص بالترجمة النبوية كما تقول فيشة أيا صوفيا ، أو السـيرة النبوية حسب التعبير المصطلح وتقول الفيشة أيضا أن تاريـخ النسخ هو عام ٧٢٦هـ تقريبا بخط المؤلف وعدد الاوراق ٢٤١ • كما تقول نفس الفيشة بحق أن هـذا المجلد ، وهو الاول يغطي الفترة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى عام ٢٩هـ » •

أقول : في هذا الوصف جملة اخطاء انتقل بعضها الى المحقـق من فهرس الجامعة العربية بسبب ان المحقق لم يطلع على هذا المجلد ، أما الاخطاء الباقية فمن اختراعه هو وها هي ذي :

أ ــ ان هذا المجلد ليس القسم الثاني من الجزء الاول ، بل هو المجلد الثاني من تاريخ الاسلام كما هو مكتوب بخط الذهبي على طرة المجلد • أما كتابة كلمة «الاول» فوق «الثاني» فهو من فعل بعض جهال النساخ • يضاف الى ذلك ان الصلاح الصفدي قد أشار تصريحا الى سماعه لهذا الجزء ، وهو الجزء الثاني • ونصت وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية عـلى وجود مجلد آخر بخط الذهبي قبله فقد جاء في نص الوقفية:

« الحمد لله حق حمده . وقف وحبس وسبّل المقر الاشرف العالي الجمالي استدار العالية الملكي الظاهـري ـ أعز الله تعالى أنصاره ـ جميع هذا المجلد وما قبله وما بعـده من المجلدات من تاريخ الاسلام للذهبي بخطه ، وعدة ذلك أحد وعشرون مجلدا ... الخ » .

ب ـ أما المجلد الاول فيشمل الفترة الواقعة بين ١ ـ ١١هـ وهو ما يعرف بالمغازى ، والتي نشر المحقق ست سنوات منها ، وان كان فيها خروم كبيرة كما سيأتي بيانه .

جـ ـ ان « الترجمة النبوية » هي غير « السيرة النبوية » فالسيرة تشمل المغازى والترجمة معا .

د ـ ان هذا المجلد يقف في أثناء سنة ٣٠هـ وليس ٢٩هـ كما مر بنا قبل قليل .

هـ ـ قوله « فيشة » عامية . ولماذا يعتمد هـذه « الفيشة » والمخطوط موجود .

و ـ ان تاريخ النسخ ليس عام ٧٢٦هـ فليس هناك من دليل لدينا ، بل الاكيد أنه قبل سنة ٧١٤هـ بفترة ليست قصيرة. فنحن نعلم ان الذهبي انتهى من تدوين تاريخه لاول مرة سنة ٧١٤هـ كما نص هو على ذلك في نهايته ، فصار الكتاب كما يبدو في تسعة عشر مجلدا ضخما بخطه . ثم أضاف اليه كثيرا من تراجم المئة الثانية وبيض هذا القسم فقط ثانية سنة ٧٢٦هـ وقد وصل الينا من هذا القسم المبيض تبييضا ثانيا بخط المؤلف، قسم من وفيات الطبقة ١٨ وجميع الطبقتين

١٩ ، ٢٠ في حوادثهما ووفياتهماوهو في ٣٠١ ورقة ، وقد جاء في نهاية المجلد : « فرغت من تبييض الطبقة تبييضا ثانيا في سنة ٧٢٦ » ، فاصبحت النسخة بعد تبييض هذا القسم في واحد وعشرين مجلدا يدل على ذلك قوله في طرة المجلد الحادي والعشرين الذي بخطه : « المجلد الحادي والعشرون من كتاب تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام تأليف ... ثم انني زدت جملة كثيرة في أرباب المئة الثانية فآل الحال الى أن هذا المجلد صار في العدد المجلد الحادي والعشرين » . ولعل هذا هو الذي يفسر لنا ذكر تلميذه ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ أن الذهبي ألف تاريخ الاسلام في تسعة عشر مجلدا (عيون التواريخ ، الورقة ٨٦ من نسخة كيمبرج ٢٩٢٣) .

ولكن اذا كان الذهبي قد انتهى من تدوين كتابه في تسعة عشر مجلدا سنة ٧١٤هـ ثم زاد في تراجم المئة الثانية بعد ذلك فاصبح في واحد وعشرين مجلدا سنة ٧٢٦هـ فكيف نفسر التناقض الحاصل بين تسلسل عناوين المجلدات الباقية بخطه وبين قوله في نهاية المجلد الحادي والعشرين أنه انتهى منه سنة ٧١٤هـ ؟ وهل يعني هذا أنه أعاد نسخ الكتاب وتنظيمه ثانية منذ سنة ٧٢٦هـ ؟ فاذا كان ذلك كذلك فان التناقض باق بسبب كتابته على طرة المجلد الاخير : انه المجلد الحادي والعشرون وأنه صار كذلك بعد الزيادة التي أضافها في أهل المئة الثانية وبيضها سنة ٧٢٦هـ وقوله في آخر المجلد

الاخير نفسه : انه انتهى منه سنة ٧١٤هـ !.

وجوابنا على ذلك أن المؤلف ، فيما نعتقد ، لم يبيض سوى المئة الثانية أو قسما منها في الاقل ، فكان ان زاد هذا القسم المبيض زيادة جعلت المؤلف يزيده مجلدين آخرين ، ثم انه أعاد كتابة عناوين المجلدات اعتبارا من المجلد الثامن وحتى المجلد الحادي والعشرين بعد أن أعاد تنظيمها وصلح[٦] بعض ما أمكن تصليحه ، وعليه فان عناوين هذه المجلدات قد كتبت في حدود سنة ٧٢٦هـ . بينما بقيت المادة التي احتوتها هي تلك التي انتهى من كتابتها في سنة ٧١٤هـ . واعتقادنا هذا له من الادلة التي تؤيده ما يجعلنا مطمئنين اليه ، وها هي ذي :

١ ــ ان القسم غير المبيض الذي وصل الينا بخط الذهبي والذي يتكون من المجلدات : الثاني[٧] ، والثامن[٨] ، والثاني عشر[٩] ، والثالث عشر[١٠] ، والخامس عشر[١١] ، والثامن عشر[١٢] ، والتاسع عشر[١٣] ، والعشرون[١٤] ، والحادي والعشرون[١٥] مليئة بالزيادات التي كتبها الذهبي بخطه على حواشيها ، وفي الطيارات الكثيرة التي وضعها بين الاوراق ، بينما لانجد في المجلد السابع[١٦] ، وهو المبيض ثانية ، الا النزر اليسير من ذلك ، بل يكاد يخلو منه .

٢ ــ يظهر الاختلاف في الخط واضحا بين النشرتين : فخط الذهبي في المجلد السابع اكثر اتقانا ووضوحا ، وقد

خط المؤلف بعض العناوين الداخلية بخط جميل[١٧] ، وميز التراجم الحافلة عن غيرها بان خط اسم الشهرة بخط غليظ جميل في أعلى الترجمة وفي وسط الصفحة[١٨] . بينما لانجد أي أثر لذلك في المجلدات الاخرى .

٣ ـ وصول بعض الطرر المصلحة الينا ، فمن ذلك طرة المجلد الخامس عشر الذي كان سابقا المجلد الثالث عشر ، وهو تصليح جد ظاهر ، ومن ذلك أيضا طرة المجلد الحادي والعشرين الذي كان قبل التصليح المجلد التاسع عشر ، وهو تصليح لايعرفه ولا يلاحظه الا من يطيل التمعن فيه ، فقد حول الذهبي كلمة « التاسع » الى « الحادي » بان غير حرف (التاء) الى (حاء) ثم وضع ركزة للسين بحيث صارت دالا ومد حرف العين وقعره فصار (ياء) . وهذا هو الذي يفسر التصاق الياء بالدال التصاقا بينا ، ووجود فتحة فوق الحاء مع عدم الحاجة اليها لانها كانت في الاصل نقطتي التاء . أما كلمة « عشر » فقد أضاف اليها الياء والنون في آخرها فصارت « عشرين » وهي تظهر واضحة وقد حشرت بين « عشر » وحرف الجر « من » . والطريف أن الفتحات التي وضعها الذهبي فوق كلمة « عشر » ظلت باقية بعد تحويل الكلمة الى « عشرين »[١٩] .

٤ ــ ويتبين من دراسة السماعات التي كتبها صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي بخطه على صفحات العنوان ، وعلى هوامش المجلدات في الداخل ، تسلسل تواريخ هذه السماعات ابتداء من أوائل سنة ٧٣٥هـ حتى شهر شعبان منها ، ووجود الوقفية على المدرسة المحمودية على معظم المجلدات التي وصلت الينا ، وهذا يؤيد أن القسم المبيض سنة ٧٢٦هـ قد أصبح جزءا من النسخة القديمة .

٥ ــ لم يشر الذهبي في أي من تلك المجلدات الى تبييض الكتاب ثانية ، بله ما هو مذكور في آخر المجلد الحادي والعشرين من أنه فرغ منه سنة ٧١٤هـ وما جاء في آخر المجلد الخامس عشر بخط الذهبي « آخر المجلد الثالث عشر والحمد لله » مع أنه كتب في طرته أنه المجلد الخامس عشر .

ان هذا التناقض الظاهري جعل مفهرسي هذه النسخة في معهد أحياء المخطوطات العربية يظنون أن الذهبي كتبها سنة ٧٢٦هـ وسنة ٧٢٧هـ من غير دليل لديهم غير أشارته الواردة في المجلد الذي استرجحنا أنه المجلد السابع[٢٠] .

٢٣ــ وأورد المحقق ما هو مكتوب على صفحة عنوان هذا المجلد ، ص٥٢ وذكر أن العنوان وعبارة « أوله الترجمة النبوية » خطهما وحبرهما مختلفان .

قلت : هذا من اختراع المحقق ، فكلاهما بخط الذهبي .

٢٤ــ ثم علق على ما نقله « جمع كاتبه محمد بن أحمد بن عثمان الفارقي ابن الذهبي » بقوله « كذا » علامة على عدم اعتقاده بصحة « ابن الذهبي » مع انه كتب ذلك بنفسه . والحق انه عرف بابن الذهبي ، نسبة الى صنعة أبيه ، وكان هو يقيد اسمه كذلك دائما، وهي مقيدة بخطه في معظم الكتب والطبقات التي بخطه مثل طبقة سماع كتاب أهل المئة فصاعدا (ص ١١١ بتحقيقنا) وجميع طرر المجلدات التي وصلت بخطه من تاريخ الاسلام ، وطبقة سماع لكتاب « الكاشف » له (نسخة التيمورية رقم ١٩٣٦) وجاء في أول معجم شيوخه : « أما بعد ، فهذا معجم العبد المسكين محمد بن أحمد ... ابن الذهبي » ولكن كيف يعرف المحقق ذلك وهو لم يقف على هذه النسخ ولم يعرف خط الذهبي ولا استطاع تمييزه ؟

ولكن يظهر أنه أتخذ صنعة أبيه مهنة له في مطلع حياته لذلك عرف عند بعض معاصريه بالذهبي مثل الصلاح الصفدي والسبكي والحسيني وابن كثير وغيرهم .

٢٥ــ ونقل المحقق بعض نص وقفية الكتاب على المدرسة المحمودية ، ص ٥٢ : « من تاريخ الاسلام للذهبي وعدة » والصحيح : للذهبي بخطه وعدة ...

٢٦ــ ثم نقل المحقق من خط الصفدي وتحرف عنده :

أ ــ وضع بعد « الذهبي » لفظ « كذا » ولا موجب له .

ب ــ « سنة ٧٣٤ » الصحيح : سنة ٧٣٥ .

جـ ـ « في مواعيد متفرقة » . والصحيح انهـا جاءت بلفظ « مياعيد » .

د ـ « من الترجمة النبوية » والصحيح : من أول الترجمة النبوية .

٢٧ـ وقد استنتج المحقق من هذه السماعات ما يأتي :

أن (كذا) هذا الجزء هو الجزء الثاني من المجلد الاول ، وأوله وآخر « محدد معروف » وقد ذكرنا سابقا غلط هذا الرأي ، ولا ندري من أين استنتجه المحقق الفاضل وقد نقلنا قبل قليل نص سماع الصفدي ، وبعض الوقفية .

٢٨ـ واستنتج بعد ذلك ان الكتاب يقع في ٢١ مجلدا بحسب تقسيم المؤلف وانه كان مكتوبا بخطه بحسب شهادة الصفدي .

أقول : مع ان المجلد الحادي والعشرين موجود بخط المؤلف وفي نهايته النص على انتهاء الكتاب ، لكن ما كتبه الصفدي ، مع ذلك، لا يشير الى هذا . ولا ريب ان هذا من الامور البديهية وليست من الاستنتاجات .

٢٩ـ ثم ذكر من بين استنتاجاته « أن الصفدي المشهور هو المقصود في البلاغات المكتوبة على هامش النسخة بخط المؤلف » .

ونحن نشكر المحقق على هذا الاكتشاف الخطير ! لاسيما ان الصفدي قد كتب اسمه كاملا فقال « خليل بن أيبك بن عبدالله الشافعي الصفدي » فميزه عن الصفدي « المغمور » الذي لاوجود له !

٣٠ـ ثم قال : « أن قراءة الصفدي انتهت عام ٧٣٤ ومعنى ذلك أن

المؤلف كتب هذا الكتاب وأتمه قبل هذا التاريخ . ولا يوجد ما يمنع من تصديق فيشة أيا صوفيا من أن المؤلف نسخه عام ٧٢٦» .

أقول : الصحيح :

أ ـ قرأ الصفدي قسما من الكتاب عام ٧٣٥ وليس ٧٣٤ .

ب ـ كتب المؤلف هذا المجلد قبل ٧١٤هـ .

جـ ـ يوجد ما يمنع من تصديق « فيشة » أيا صوفيا من أن المؤلف نسخه عام ٧٢٦ بعد كل الذي قدمنا .

٣١ـ ثم قال : ان عبارة « الترجمة النبوية » عبارة اصطلاحية تقابل السيرة النبوية أقول: هذا غير صحيح وقد سبق أن بينا خطأ ذلك.

٣٢ـ وقال مستنتجا : « ويشهد بلاغ الصفدي كما يشهد العنوان بان هذا المجلد هو الجزء الثاني من المجلدة الاولى . ويفسر ذلك جمع صفحة العنوان بين لفظ « الثاني » و « الاول » .

أقول : لقد أثبتنا أن هذا هو المجلد الثاني وان كلمة « الاول » ليست بخط الذهبي ، بل هي اضافة من بعض جهال النسّاخ .

٣٣ـ ثم قال : « ومعنى ذلك أن تتوقع امكان وجود جزء ضائع يحمل أسم المغازى ... ونحن في سبيل البحث عن هذا المجلد الضائع الذي يعالج المغازى » .

وهذا أعجب ما في مقدمة المحقق لان جميع ما نشره في هذا المجلد هو قسم من « المغازى » فتأمل ذلك !

ان كل هذا الذي قدمناه يشير صراحة أن المحقق لم يطلع على نسخ الكتاب ولم يدرسها ، ولعله رأى الصفحة الاولى فقط

من نسخة آيا صوفيا رقم ٣٠٠٥ أو نقلها اليه بعضهم ، وأظنه القدسي ـ حفظه الله ـ وانه لم ير سوى ما كتبه في هذا المجلد وهو قسم من المغازى .

ثالثا : تقسيم الكتاب :

٣٤ـ قال المحقق عند كلامه على تقسيم الكتاب ص٥٤ : « لا نستطيع أن نقسم الكتاب عند نشره الى ٢١ مجلدا كما قسمه المؤلف لأن هذا التقسيم ضاع ولم يحتفظ به الناقلون » .

أقول : بل يمكن معرفة المجلدات التي قسم بها المؤلف كتابه وحدودها لاسيما اذا عرفنا ان عشرة مجلدات من أصل ٢١ مجلدا قد وصلت الينا بخط المؤلف وهي المجلدات ٢ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ . يضاف الى ذلك ان نسخة دار الكتب المصرية وبعض الاجزاء في خزائن الكتب العالمية ومنها أجزاء بباريس واكسفورد هي بخط بدرالدين البشتكي أو نسخت عن نسخته ، وقد حافظ البشتكي على تجزئة المؤلف . وبذلك يتبين أن بعض الناقلين احتفظ بهذا التقسيم .

٣٥ـ ثم ذكر انه سيفرد الترجمة النبوية في مجلد ، والمغازى في مجلد (أي قسمين) ولكنه في الواقع اصدر نصف المغازى فقط !

٣٦ـ وقال المحقق ، ص٥٦ : « ان المؤلف التزم بفكرة عصره عن التاريخ من أنه ينقسم الى حوادث ووفيات ، وطبق ذلك في كل كتابه حتى على عصر الرسول وسيرته » .

وهذا كلام يدل على عدم معرفة بالكتاب ، ولا بد لي هنا أن أوضح تنظيم كتاب « تاريخ الاسلام » للذهبي باختصار

لدحض رأي المحقق الذي ظل يعيده ويبديه من غير معرفة فأقول: ان الذهبي اتبع ثلاثة سبل متنوعة في كتابه وهي :

١ ــ من ١ــ٤٠هـ خلط الحوادث والتراجم وأورد التراجم القليلة التي أوردها ضمن الحوادث ولم يفصلها عنها كما توهم المحقق ، ولم يكن للتراجم في هذه الفترة من أثر واضح يميزها عن الحوادث حيث لم نتمكن أن نستشعر أي تنظيم فيها .

٢ ــ من سنة ٤١ ــ ٣٠٠هـ ذكر حوادث كل عشر سنوات بصورة متتالية ثم نظم تراجم المتوفين يقينا والمتوفين على التقريب ضمن هذه السنوات العشر على حروف المعجم مع عدم اعتنائه دائما بذكر تاريخ وفاة كل مترجم داخل السنوات العشر ، لعدم وقوفه على طائفة كبيرة منها ، ولانه ذكر طائفة أخرى منهم على وجه التخمين والتقريب .

٣ ــ من سنة ٣٠١ ــ ٧٠٠هـ فصل الحوادث عن الوفيات تماما وجمع في أغلب الأحيان حوادث كل مجلد في مكان واحد منه ، ثم رتب التراجم حسب السنين ، ونظم تراجم كل سنة على حروف المعجم ، وذكر المتوفين على التقريب في نهاية كل عقد (عشر سنوات)[٢١] .

٣٧ــ ثم قال بعد ذلك في الصفحة نفسها : « ولكن القسم الاول ضاع فلم يوجد الا في نسخة كمبردج المشار اليها وحدها بحسب علمنا الى الآن » .

أقول : بل هو موجود في غيرها ومنها نسخة الامير عبدالله بن

عبدالرحمن آل سعود الخاصة بالرياض من السعودية ، وهو المجلد الاول منها . يضاف الى ذلك وجود هذا القسم في المختصرات ومنها مختصر ابن الملا .

٣٨ـ وقال في ص ٥٧ : « لعل الذهبي يتبع سنة ابتدأها البلاذري حين بدأ كتابه فتوح البلدان بالهجرة النبوية ، فبدأ كتابه بمخرج رسول الله ـ ص ـ الى المدينة ثم التزم بنفس الفكرة في كتاب العبر » .

وهذا قول غريب وكأن كتاب البلاذري هو أقدم الكتب ثم نلاحظ :

أ ـ ان كتاب البلاذري لم يرتب حسب السنين ، بل حسب الفتوح .

ب ـ ان البلاذري توفى سنة ٢٧٩هـ وهناك من المؤرخين الحوليين الكثرة قبل هذا التاريخ نذكر منهم ممن اطلع الذهبي على كتبهم ونقل منها : خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفري المتوفى سنة ٢٤٠هـ وقد وصل الينا تاريخه وطبع غير مرة .

جـ ـ من الطبيعي أن يلتزم الذهبي في العبر التنظيم على السنين لأنه مختصر من تاريخ الاسلام .

٣٩ـ وعقد لنا المحقق في الصفحتين ٥٨ ـ ٥٩ مقارنة عن « التقسيم الثنائي للسيرة عند الذهبي وابن كثير » وأعاد أقواله ان الذهبي

فصل الحوادث عن الوفيـــات في الفترة الاولى ، وهو ما أثبتنا بطلانه ، وجميع هذه المقارنة لا قيمة لها لعدم استنادها الى واقع صحيح .

« للنقـد صلة »

الهوامش :

١ ـ الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٦٩ (نسخة احمد الثالث ، رقم ٦/٢٩١٧) ٠

٢ ـ نفسه ، الورقة ٣٨ (نسخة أيا صوفيا ، رقم ٣٠١١) ٠

٣ ـ نفسه ، الورقة ٢٣٦ (نسخة أيا صوفيا ، رقم ٣٠٠٨) ٠

٤ ـ نفسه ، الورقة ٤٢ (نسخة أيا صوفيا ، رقم ٣٠١١) ٠

٥ ـ انظر التفاصيل في كتابنا : الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ، ص ٣٠٢ وما قبلها (القاهرة ١٩٧٦) ٠

٦ ـ مثل ما فعل في المجلد الثالث عشر حيث حاول تصليحه وجعله المجلد الخامس عشر ٠ ومثل ذلك أيضا تصليحه طرة عنوان المجلد التاسع عشر وتحويلها الى المجلد الحادي والعشرين ٠

١ ـ أيا صوفيا ٣٠٠٥ ٠
٨ ـ أيا صوفيا ٣٠٠٧ ٠
٩ ـ أيا صوفيا ٣٠٠٨ ٠
١٠ ـ أيا صوفيا ٣٠٠٩ ٠
١١ ـ أيا صوفيا ٣٠١٠ ٠
١٢ ـ أيا صوفيا ٣٠١١ ٠
١٣ ـ أيا صوفيا ٣٠١٢ ٠
١٤ ـ أيا صوفيا ٣٠١٣ ٠
١٥ ـ أيا صوفيا ٣٠١٤ ٠
١٦ ـ أيا صوفيا ٣٠٠٦ ٠

١٧ ـ انظر مثلا الورقة ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩٢ ٠٠٠ الخ ٠

١٨ ـ انظر مثلا الورقة ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٣٣٢ ٠٠٠ الخ ٠

١٩ ـ انظر صورة طرة هذا المجلد ٠

٢٠ ـ راجع فهرس المخطوطات المصورة ، ج٢ قسم ١ ص٥٣ ٠

٢١ ـ انظر التفاصيل في كتابنا : الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ، ص٢٧٩ـ٣٠٦ ٠